

سوسولوجيا المشاركة السياسية للعشيرة العراقية

دراسة ميدانية للبنية الاجتماعية والسياسية لعشيرة الخزاعل

أ. م. د. علي جواد وتوت

قسم علم الاجتماع في كلية الآداب

جامعة القادسية

نشر في مجلة (القادسية في الآداب والعلوم التربوية/ السنة: ٢٠١٥ المجلد: ١٥ العدد: ٣/ الصفحات: ٣٢٣-٣٧٦)

ملخص

ظلت الانتماءات العشائرية تؤثر بشكل فاعل على الأفراد في العراق حتى العهد الحاضر، فهي لم تقتصر على الصحارى والأرياف في العراق بل تعدى ذلك دائماً إلى المدن.

ويمكن طرح تساؤلات مهمة تتعلق بقضية التزام الأفراد بقيم العشيرة: فلماذا يلتزم بعض الأفراد بقيم العشيرة ولا يلتزم بها آخرون؟ ولماذا لا تزال القيم العشائرية تتحكم بمصائر الأفراد في مناطق الريف، فيما لا تبدو بالتأثير عينه في المدن؟ وهل أن سيطرة العشائر على أفرادها حالياً هو أمر فعلي وواقعي، أم إن العراقيين تخلصوا من هذه السيطرة؟

فمن الواضح أن المدينة تجعل الأفراد الساكنين فيها أقل ارتباطاً بعشائرتهم، برغم تمسكهم بثقافتهم العشائرية. غير أن مدينة الديوانية ترتبط بالعشيرة أيما ارتباط، بل هي تأسست على أنها ديوان (أو مضيف) شيخ الخزاعل وأميرها (حمد آل حمود)، إذ نشأت بعد ازدياد بناء الأكواخ قرب ديوانه، ثم أن اسم المدينة اشتق من هذا الملمح العشائري (الديوان أو المضيف)، فهي بالأصل كانت ديواناً لأمير الخزاعل.

ولما كانت عشائر الخزاعل هي أكبر العشائر في محافظة الديوانية من حيث عدد أفرادها، فقد اختارها الباحث لتكون أنموذجاً لدراسته الميدانية. فأفراد عشائر الخزاعل في مدينة الديوانية لا زالوا يمارسون السلوكيات العشائرية، كما أن قيم العشيرة كـ(الكرم) المبالغ به، و(الغلبة)، و(دونية المرأة) وغيرها مما تفترضها ثقافة العشيرة، تسود تعاملهم وأساليب حياتهم اليومية. فضلاً عن أن شيوخها شاركوا بقوة في الدولة العراقية الحديثة، فلم يخلو مجلس نيابي في العهد الملكي منهم، مثلما شاركوا في المجلس النيابي أبان حكم صدام حسين، وهم يشاركون بقوة الآن في دوائر صنع القرار.

والبحث الحالي محاولة لسبر المشاركة السياسية للعشيرة العراقية سوسولوجياً، وهو في عنوانه ذلك، وموضوعاته تلك اقتضى تقسيمه إلى خمس مباحث، تضمن الأول عرضاً للبنية والتراتب الاجتماعي في العشيرة العراقية ممثلة بعشائر الخزاعل، والثاني عرضاً للتراتبية السياسية في عشيرة الخزاعل، والثالث تحليلاً للبنية والتراتب الاقتصادي لهذه العشيرة، والرابع استعرض انتمائها الديني والطائفي، أما المبحث الخامس فتضمن عرضاً وتحليلاً لعلاقة الخزاعل بالسياسة، وانتهى البحث أخيراً بخاتمة.

Sociology of the political participation of Iraqi Clan

A field study of social and political structure of Alkhoza'el clans

Dr. Ali Jewad Witwit

Academic Researcher in Political Sociology

Abstract

Clan loyalties remained effectively influence on individuals in Iraq until the current one, is not confined to the deserts and rural areas in Iraq, but beyond that is always to the cities.

Can be raised important questions concerning the issue of the values of the commitment of individuals clan: why some individuals committed to the values of the tribe and not sticking to the others? Why not continue to control the fate of tribal values of individuals in rural areas, while does not seem to have the same impact in the cities? Is the control of clan members is now a real and realistic, or that the Iraqis got rid of this control?

It is clear that the city residents make individuals less closely tied to their tribes which, although they adhere to tribal culture. However, the city of Diwaniya linked Basherp intertwined, but it is founded on the Court (or host) and Prince Alkhoza'el Sheikh (Hamad Al Hamoud), it was created after an increase in building huts near the (Diwan Sheikh) or his host, then that city's name derives from this feature of the clan (the host), they were originally a chamber to the Prince of Alkhoza'el.

As the clans Alkhoza'el is the largest tribes in the province of Diwaniya, where the number of its members, were selected by the researcher to serve as a model to study the field. Detained Alkhoza'el clans in the city of Diwaniya are still engaged in tribal attitudes, and values of your clan (generosity), (revenge), (dominant), and (the inferiority of women) and other clan culture, which entailed in the desert and the countryside, prevailing discourse and methods of their daily lives. In addition that, their Sheikhs participated strongly in the modern Iraqi state, not without a parliament under the monarchy of them, as they were in the parliament during the rule of Saddam Hussein, and they are now strongly involved in the decision-making.

This research is an attempt to explore the political participation of Iraqi tribal sociology, which in its title that, and those topics necessary to divide it into five detectives, which included the first presentation of the structure and social hierarchy in the tribe, the Iraqi representative Bashair Alkhoza'el, and the second presentation of the political hierarchy in the tribe Alkhoza'el, and the third an analysis of the structure and hierarchy economic, of the clan, and the fourth reviewed their religious and sectarian, and the fifth Alambges guarantees the presentation and analysis of the relationship Alkhoza'el politics, your search is over finally seal.

سوسيولوجيا المشاركة السياسية للعشيرة العراقية

دراسة ميدانية للبنية الاجتماعية والسياسية لعشيرة الخزاعل

إشكالية البحث

ظلت الانتماءات العشائرية تؤثر بشكل فاعل على الأفراد في العراق حتى العهد الحاضر، فهي لم تقتصر على الصحارى والأرياف في العراق بل تعدى ذلك دائماً إلى المدن.

هنا ينبغي طرح تساؤلات مهمة تتعلق بقضية التزام الأفراد بقيم العشيرة: لماذا يلتزم بعض الأفراد بقيم وأحكام العشيرة ولا يلتزم بها آخرون؟ وهل أن سيطرة العشائر على أفرادها في الأيام الحالية هو أمرٌ فعلي وواقعي، أم إن العراقيين تخلصوا من هذه السيطرة؟ ولماذا لا تزال القيم العشائرية تتحكم بمصائر الأفراد في مناطق الريف، فيما لا تبدو بالتأثير عينه في المدن؟ لكن الواضح أن المدينة تجعل الأفراد الساكنين فيها أقل ارتباطاً بعشائرتهم، على الرغم من أنهم متمسكون بثقافتهم العشائرية. فلا زال الأفراد في عشائر الخزاعل بمدينة الديوانية (القرية المنتفخة بيئة وثقافة وممارسات سلوكية) يمارسون ثقافة العشيرة بشكل سافر، ف(النخوة) و(الكرم) المبالغ به، مثلما هو (الثار) و(الغلبة)، سلوكيات شائعة، هذا فضلاً عن قيم (العرض) و(دونية المرأة) وغيرها مما تفترضها ثقافة العشيرة في الصحراء والريف، ويطبّقها سكان الديوانية الذين يُعدون (حضرًا!!)، بل إن المثقفين الراضين لها في أحاديثهم يمارسونها في ممارساتهم وتعاملهم اليومي.

ويبدو أن هذا متأثراً من بقاء علاقات الإنتاج التي أوجدت ثقافة العشيرة على حالها، فهي لم تستبدل بأنماط جديدة توازي التغير في أنماط الإنتاج نفسها. فالواقع يؤكد أن الفرد في مدينة الديوانية لا يستطيع الخروج من شرنقة (الثقافة) العشائرية، والعقل العشائري، على الرغم من خروجه من التنظيم العشائري اجتماعياً واقتصادياً في معظم الأحيان. فهو يلتزم بتقاليد العشيرة وقيمها في معظم ممارساته، بل إنه قد يلتزم بنسبها في إعلان اسمه، لكنه بالتأكيد لم يُعد طوع أمر شيخ العشيرة، كما كان حال أبيه. فالديوانية ترتبط بالعشيرة أيما ارتباط، بل هي تأسست على أنها ديوان (أو مضياف) أمير الخزاعل وشيخها (حمد آل حمود)، ثم كثر اسم (الديوانية) مجرداً كما يذكر مؤرخون^(١)، وذلك لشيوع اسمها واشتهارها بين القبائل.

ولما كانت أكبر أفضية الديوانية التي تسكنها عشائر الخزاعل (الحمزة، والمهناوية، وغماس، والدغارة، والسنية، والسدير) ومركز المحافظة (الديوانية)، فضلاً عن أن شيوخها شاركوا بقوة في الدولة العراقية الحديثة، فلم يخلو مجلس نيابي في العهد الملكي من شيوخهم، مثلما شاركوا في المجلس النيابي أبان حكم صدام حسين، وذلك بأكثر من نائب. وهم يشاركون بقوة الآن في دوائر صنع القرار. وربما كان اهتمام شيوخ عشائر الخزاعل بالسياسة يبدو أكثر وضوحاً، بحيث أنها ضمنت تشريعاتها العشائرية ممثلة بـ(سانية عشائر الخزاعل) فقرة تتحدث عن علاقة الأفراد بالسياسة وما يمكن أن ينتج عن ذلك من جرائم وخروقات، وهو ما لم يلحظه الباحث في سواني العشائر الأخرى. وكان هذا وغيره ما دعا الباحث لدراسة عشيرة الخزاعل تحديداً كأنموذج عن العشيرة في الديوانية، فقد اختارها الباحث قصدياً ليكون أفراد العينة من عشائر الخزاعل في تلك الأفضية، وبواقع (٢٥) مجروحاً من كل قضاء، فيما تم اختيار (١٠٠) فرداً من الديوانية.

المبحث الأول

الخرزاعل ... في البنية والتراتب

أولاً: الخزاعل ... قبيلة أم عشيرة؟

لا وجود في الوقت الحاضر لمكون (القبيلة Tribe) البدوي كوحدة سياسية واجتماعية، فقد انحلت وتلاشت. غير أن القبيلة تتكون من عدد من العشائر التي تقطن إقليمياً واحداً، ويوجد عادةً جد تقليدي هو في أغلب الأحيان أب خيالي لمؤسسي العشائر ورؤوسها^(٢).

على أن العراقيين يقسمون القبائل الكبيرة إلى عشائر، والعشائر إلى حمائل (مفردها حمولة) أو أفخاذٍ كبرى، وهذه إلى فند (مفردها فندة)، والأخيرة إلى أسلاف (مفردها سلف) أو أشباب (مفردها شبة) ومن ثم بيوت فحسب. أما في الديوانية، فإن ما تبقى من القبيلة البدوية، وبكلمات السوسيوولوجيا تمأسس في ظل ظروف تاريخية معينة، ليصبح أكثر تماساً مع الأفراد وشؤون حياتهم اليومية ممثلاً بالعشيرة بصورتها الريفية أو الحضرية. ومما يمكن ملاحظته بشدة في محافظة الديوانية اليوم أن أهلها لا يشعرون بوجود القبيلة. فمعنى (قبيلة) غير واضح في أذهان الأفراد وبخاصة الأجيال الجديدة، فهناك خلط ظاهر بين لفظتي (قبيلة Tribe) و(عشيرة Clan) اللتين تستعملان بغير ما دقة، فهم يتحدثون عن عشيرتهم Their Clan كقبيلة as a Tribe، ويقسمونها إلى عشائر وأفخاذ وعوائل (بيوت). فغالبية من استطلع الباحث آرائهم من أفراد الخزاعل أكدوا على أن العشيرة والفخذ (وهي أجزاء من القبيلة البدوية القديمة) أكثر قرباً منهم. لذا أصبحت العشائر تتصرف كوحدات مستقلة في دفع فصولها وفي أمور أخرى كثيرة.

لقد ساعد على التداخل وعدم الوضوح بين المفهومين السابقين، التغيير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي طرأ على بنية المجتمع في العراق، منذ قيام الدولة الحديثة (١٩٢١)، وما جرّه هذا من ضعف في البنية القبلية والعشائرية، فلم يعد للأصل المشترك وللأسكن في إقليم مقارب أهمية كبيرة، حتى أننا نجد عدداً من الوحدات العشائرية التي تنتسب لقبيلة واحدة، قد تباعدت واختلقت، ليس فقط في مناطق تواجدها وانتشارها، بل حتى في انتماءاتها الطائفية، وتحولت إلى وحداتٍ متنازعة ومتخاصمة لتضارب مصالحها الاقتصادية، ولبعد الأصل المشترك الذي انحدرت منه^(٣). فمع تغير أنماط الحياة في العراق، انتقل ما تبقى من أنماط ثقافة القبيلة البدوية، مع القبائل التي استقرت في مناطق خصبة من العراق كحال الخزاعل الذين استقروا في منطقة الفرات الأوسط، وبدأوا بممارسة الزراعة. فمن رحم القبيلة العربية البدوية (خزاعة) نشأت عشيرة (الخبزاعل) العراقية، كما تشير كتب التاريخ المتعلقة بأصول العشائر، وسكنت المناطق الخصبة واشتغل أفرادها بالزراعة.

وبناءً على ما سبق، فإنه يمكن أن نتساءل إذا ما كان من الممكن بحالٍ من الأحوال إطلاق مفاهيم (قبيلة) على الجماعات الموجودة حاضراً في الديوانية، فهذه الجماعات لا تعيش اقتصاد الكفاف، كما أنها في الغالب لا تتمتع باستقلال محلي. ولمسايرة اللفظة الدارجة لتوصيف الوحدات الاجتماعية في الديوانية^(٤)، يمكن الإشارة إلى (قبيلة الخزاعل)، والتي تنقسم إلى ما يقرب من أربعين عشيرة أو حمولة كبيرة، هناك سبع منها تشكل أهمها. وهذه العشائر تنتشر على مساحة كبيرة، وكثير من أفرادها وأسرهم يبتعدون مسافات شاسعة أحياناً عن الموطن التقليدي لقبيلة الخزاعل.

كما إنه لا وجود لحدود صارمة في التقسيمات المذكورة للقبيلة عند الخزاعل، ولذلك تختلف التوصيفات التي تحاول تعداد عشائرهم أو حمائلهم، كما أن هذه التقسيمات ليست مرتبة من حيث حجمها فحسب، بل إن ترتيب بعضها قد يكون مكانياً أو مرتبطاً بنوع مكان الإقامة (كما هو حال الفندة أو السلف)، والمقصود به مجموعة البيوت التابعة لسلف أو جد يمكن تتبعه بالنسبة لجميع الأفراد في هذا الفخذ الصغير^(٥)، مقارنةً بحالة البيت أو ما يطلق عليه بال(آل)، الذي يتكون من مجموعة الأسر هذه، فإن الجد الذي يدعى البيت باسمه يكون قد عاشه عدد كبير به من الأجداد وعدد لا بأس من الآباء الحاليين في البيت^(٦)، ويمكن توضيح ذلك بدقة في الملحق (٢) الخاص بترسيمة أحد أفخاذ الخزاعل.

ثانياً: الخزاعل ... في بنيتهم الاجتماعية

كما هي الأحوال في بقية التنظيمات العشائرية تشكل (العائلة) الوحدة الأساسية في عشيرة الخزاعل، فهي البنية الأهم في الحياة الاجتماعية، وعادةً ما يكون الأب عمود هذه البنية، فهو رأس العائلة ومدير شؤونها اليومية والحياتية، وتكون كلمته مسموعة من قبل باقي أفراد العائلة، ورأيه هو السائد على زوجته وأولاده وبناته... ولا تتم مخالفة هذا التنظيم إلا ما ندر.

ومجتمع الخزاعل هو مجتمع تقليدي يعتمد العمر كوسيلة للمعرفة المبنية على الخبرة، فهو مجتمع يقدر كبار السن وينظر بدونية إلى الصغار، وبشكل أقل إلى الشباب. ولما كانت فئة الشباب (بالأعمار من ١٥ إلى ٣٤) هي الغالبة على مجتمع عشائر الخزاعل (وهذه صفة عامة لمجتمع العراق) وهي فئة تتصف فضلاً عن الحيوية والنشاط والرغبة في العمل التي تتصف بها الفئات الأخرى، بارتفاع درجة التطلعات والطموحات التي لها انعكاساتها على واقع الحياة الاجتماعية، علمنا ما سبب الرغبة

في التخلص من الالتزامات التي أوجدها التراث والتقاليد الاجتماعية لمؤسسة العشيرة. ويساهم في دفع أفراد هذه الفئة العمرية إلى محاولات التمرد على ربة الماضي تحصيلهم الدراسي، وبخاصة إذا كانوا ممن نالوا قسطاً جامعياً منه.

وعند تحليل العلاقة بين فئات العمر بحسب أفراد العينة ومدى انتشار القيم العشائرية تبرز قضيتان، الأولى: أن الأفراد كلما كانوا أكثر شباباً وحيوية، كلما كانوا أكثر تمرداً ورفضاً للقيم والالتزامات التقليدية ومنها قيم العشيرة، في حين نجد أنه كلما زادت أعمار الأفراد زاد شعورهم بالعجز عن التغيير، والاستكانة لمفردات وظروف واقع وجودهم الاجتماعي، فتراهم يقبلون بغير ما رضا على التكيف مع واقع الحياة الاجتماعية (الحديثة !!). وهو ما يقودنا إلى القضية الثانية، ربما من الجانب الدلالي، إذ يدهشك إقبال معظم أفراد الطبقة الوسطى من عشيرة الخزاعل على ارتداء أزياء العشيرة (ممثلة بالبدشداشة والعقال واليشماغ والعباءة، بل وحتى الزيون أو الصاية في بعض الأحيان)، وهو ما يعد نكوصاً في الذائقة العامة لأفراد العشيرة، والتراجع عن ارتداء الأزياء الحديثة التي شاعت في كل دول العالم لأنها الأكثر مناسبة لظروف العمل.

أما عن توزيع الأدوار جندرياً داخل العشيرة، فالمجتمع العشائري للخزاعل هو مجتمع ذكوري تماماً، يتجاهل المرأة دائماً. والسيادة فيه بشكل عام، هي للرجال. وهذا التفاوت في التوزيع لا يعكس بطبيعة الحال الواقع الديموغرافي لعشيرة الخزاعل أو لمجتمع الديوانية (أو العراق بشكل عام)، والذي تتفوق فيه نسبة الإناث على نسبة الذكور. فمن أصل (٢٥٠) مبحثاً استطاع الباحث استبيان آراء عشر من نساء الخزاعل فقط. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، فإن قيم عشيرة الخزاعل، كما هو حال القيم العشائرية وثقافتها بشكل عام، تضخم من دور الرجل وتشيع المرأة، ولا تعترف بها كإنسان له إرادة، وله حقه في الاختيار، بل إن المرأة تعد تابعة للرجل في الثقافة الاجتماعية، فهي إنسان من الدرجة الثانية، سواء كان ذلك في العائلة أو في الحياة عموماً.

فجماعة عشيرة الخزاعل، كما هي العشائر العراقية بعامة، تتبنى ثقافة قامعة لحقوق المرأة، فالرجل هو سيد المرأة (سواء كان ذلك الرجل زوجها أو أخوها، أو ابنها أو والدها، كما هو شائع)، وهي تحتل المرتبة الأدنى بعده في الترتيب الاجتماعي. فالأب وباقي الذكور عموماً يتحولون إلى راعين وحاملين المسؤولية عن أمور المعيشة وتبقى المرأة قيعة البيت حيث مهمتها الرئيسية هي تدبير شؤون المنزل. نتحدث عموماً ويتغير الحال عند ارتفاع مستوى تعليم ووعي المرأة.

غير أن المرأة عانت، ولا زالت، من مشكلة عدم قدرتها على اختيار زوجها. فالأهل عادةً ما يجبرونها على الزواج سواء كانت تريد ذلك الزواج أو لا تريده. لكنها تطارد عشائرياً حتى تقتل إذا ما تزوجت من دون موافقتهم! ورغم أن غالبية نساء عشيرة الخزاعل اليوم قد نلن قدراً من التعليم، بحسب أفراد العينة، بل وأصبحت غالبية أولاء المتعلمات عاملات أو موظفات (يمتهن التدريس في معظم الأحيان)، إلا أنهن ما زلن يخضعن لأوامر الأب والأخوة في تحديد مصيرهن وحياتهن القادمة.

والشائع عن الخزاعل أنهم لا يزوجون بناتهم إلا لأبناء عمومتهن من الخزاعل، وللأسادة (وهم الأفراد الذين يتحدرون من سلالة الرسول محمد، عن طريق انتسابهم لأحد الأئمة من أبناء فاطمة بنت الرسول وزوجها علي بن أبي طالب، ابن عم الرسول محمد، ولهذا فإن لهم مركزاً اجتماعياً مرموقاً يستند على قناعات الأفراد الدينية) ولذلك يشيع أن الخزاعل هم أحوال السادة) وهي مكانة مشرفة في مجتمع طهراني كالذي عليه المجتمع في الديوانية.

وارتفعت نسب المتزوجين بين أفراد (عينة الدراسة من) عشيرة الخزاعل، ولاشك أن هناك علاقة وثيقة بين الحالة الزوجية للفرد وبين درجة استقراره العاطفي والانفعالي. فالحياة الزوجية تتطلب في المجتمعات الحديثة، شروطاً موضوعية يبدو أهمها قدرة الزوج على تحمل مسؤولية إعالة أفراد أسرته وتحمل مسؤولياتها. إلا أن ارتفاع نسبة المتزوجين بين أفراد العشيرة، يعود في جانب منه إلى سيادة القيم العشائرية التي يشكل الزواج المبكر أحد أهم أسسها، وكذلك تكوين عائلة كبيرة فحسب، وإنجاب الأولاد (وليس البنات) الذين يكونون سنداً وعزوة للأب يساعده في إعالة الأسرة، هي قيم عشائرية واضحة الدلالة.

فحجم الأسرة بحسب أفراد العينة، عامل مهم من عوامل التأثير على توجهات الأفراد الاجتماعية، لا يقل أهمية عن عامل الحالة الزوجية، على الرغم من أنه مرهون بواقعها، ذلك أنه مرتبط بتلبية الحاجات الأساسية لأفراد الأسرة، وفقاً لإمكاناتها

المادية ومستوياتها المعيشية، وطرائقها في تنشئة أبنائها. ذلك أن العلاقة بين حجم الأسرة والقيم التي يتبناها الوالدان واضح للغاية. إذ أن الحياة وفقاً لقيم عشيرة الخزاعل تفترض أن المهابة والمكانة الاجتماعية المميزة تأتي من الكثرة، وذلك من نسبة أفراد العينة الذين ينتمون لعوائل تتكون من ثمان أفراد أو أكثر، كما أن المتزوجين منهم يعيشون غالباً مع الأهل.

ثالثاً: الحاجة الاجتماعية للعشيرة

إن بروز ظاهرة العشيرة من جديد، أو اعتماد الأفراد عليها من وجهة نظر أفراد العينة من عشائر الخزاعل، يعود إلى عوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية، لكن ضعف الدولة والقانون شكل أهم العوامل قاطبةً. وأنه دليل على فشل الدولة المشكلة حديثاً في القيام بأول واجباتها وهو حفظ أمن أفراد المجتمع، فلجأ الأفراد إلى جماعاتهم المرجعية كالعشيرة والطائفة لطلب الأمن والحماية.

لقد أجمع غالبية أفراد العينة أن قيم العشيرة وتقاليدها تنتشر بشكل واسع في محافظة الديوانية، وهي تنتشر بشكل أكبر في قرى محافظة الديوانية، تتبعها النواحي، ومن ثم تأتي أقضية المدينة، وأخيراً المدينة ذاتها. كما أجمعوا على أن أقرب مكونات العشيرة إليهم كانت العائلة، تلاها الفخذ، ثم تليهما العشيرة، وأخيراً القبيلة. وأكد غالبية أفراد العينة أنهم لا يذهبون للاجتماع بأفراد عشيرتهم عند انعقاد مجلس العشيرة، لكن المناسبات الاجتماعية للعشيرة غالباً ما تكون سبب رؤيته لأفراد العشيرة، وكانت مجالس الفاتحة أول هذه المناسبات تلتها مناسبات الأفراح (كالزواج، والختان، والولادة .. ما إلى ذلك).

ومن أهم العوامل الاجتماعية التي عززت الانتماء العشائري بعد أبريل ٢٠٠٣، هي (الوجاهة الاجتماعية، والعزة والمنعة، والدعم والمساندة في المناسبات). أما أهم العوامل الاقتصادية التي عززت الانتماء العشائري بعد أبريل ٢٠٠٣، فكانت (في حالات الوفاة، وفي حالات الزواج، وأخيراً في حالات الفصل العشائري)، أما أهم العوامل السياسية التي عززت الانتماء العشائري بعد أبريل ٢٠٠٣، هي (القربة السياسية، والدعم المسلح، والمساندة الانتخابية).

لقد أكد معظم أفراد العينة أن العشيرة التزام مفروض على الأفراد، وهي تفرض التزامات غير محبذة عليهم، وكانت أكثر هذه الالتزامات بالترتيب (التبرع لصندوق العشيرة، والأقارب غير المرغوب بهم، والفصل العشائري، واستخدام النساء كتعويض). غير إن عشيرة الخزاعل ما زالت وحدة قائمة لها شخصيتها المعنوية والاجتماعية سواء في الريف أو حتى في مجتمع مدينة الديوانية، التي ترفت بشكل واسع، وذلك بسبب عدم انتقال الدولة العراقية بالكامل إلى مستوى من التحديث الصناعي يؤهلها إلى تجاوز التجمعات القبلية والعشائرية. والنظام الاجتماعي لعشائر الخزاعل قائم على الاندماج شبه التام للفرد في القبيلة أو العشيرة بما تفرضه هذه من التزامات وتقاليد وسلوك لا يمكنه الخروج عنها. فلا وجود لحرية فردية، فالفرد (العشائري) بقبوله هذا الانتماء، ملزم بحزمة من الالتزامات التي يشكل أقلها عبئاً ليس سهلاً على الأفراد تحمله.

بالمقابل، ترسخ العشائرية والتزاماتها ضياع الحرية الفردية لأفراد الخزاعل. فالعشيرة، فضلاً عن (العائلة)، تصدر الاستقلال الشخصي للفرد في اتخاذ قراراته. إذ إن بنية العشائر ونظامها الذهني الذي يمتد بين قطبي قسرية الانضمام لنظام القبيلة وبين الحرية القائمة أساس حق الاختيار.

المبحث الثاني

الخبزاعل ... في تراتبهم السياسي

لكل عشيرة شيخ يدبر أمورها ويديرها، وهو أكثر رجال العشيرة حكماً، ولكل عشيرة عاداتها وتقاليدها وثقافتها التي نشأت بها والتي استحدثتها من قوميتها وعقيدتها الدينية، فيما يقوم مساعدو الشيخ ونوابه بإدارة تفرعات التنظيم، ويشكل باقي الأفراد القاعدة الديموغرافية للعشيرة. فضلاً عن أن لكل عشيرة قانونها الخاص بها لتسير أمورها وحفظ النظام الاجتماعي لها وحل النزاعات التي تحدث بين الأفراد.

أولاً: شيخ العشيرة

كما في بقية العشائر والتنظيمات العشائرية، يتمثل التنظيم السياسي لعشيرة الخزاعل بالشيخ كرئيس لهذا التنظيم ومدير لشؤونه الكبرى وعلاقاته الشيخ رأس العشيرة. وكلمة (شيخ) في العربية تشير إلى من تجاوز الخمسين من العمر، وهي تدل

على الحكمة والخبرة لأن العمر كثيراً ما لعب دوراً رئيساً في انتقاء شيخ العشيرة، الذي يكون عادةً من ذوي الجاه والمال وقوة الشخصية^(٧)، غير أن إدارة شؤون العشيرة لا تقوم على مبدأ القدم.

لكن هذا ليس مطلقاً، وبخاصة أن البنية السياسية للعشيرة تعتمد مؤسسة القرابة (النسب الأبوي Patrilineal descent بالتحديد)، إذ يرتقي الشيخ لمنصبه عن طريق الوراثة، وقد لا يكون الشيخ أكبر أفراد العشيرة سناً، لكنه في الغالب يكون الابن الأكبر لأبوه الذي سبقه في المشيخة. وربما يتولى المشيخة أحد أخوة الشيخ المتوفي في حالة كونه لا يملك أبناء كبار السن. وغالباً ما كانت سلطة المشيخة سبباً في الخلاف داخل الأسرة الواحدة، أو الشبة الواحدة.

فالنسق السياسي العشائري لا زال يعمل عبر العصبية العشائرية، والتي يمثل فيها (الشيخ) صاحب الإرادة وصانع القرار، فهو فضلاً عن كونه الزعيم السياسي للعشيرة، فهو أيضاً رئيس السلطتين القضائية والتنفيذية، وهو أكبر الفاعلين على المستوى الاقتصادي للعشيرة. وشيخ عموم الخزاعل اليوم هو عضو البرلمان (حسين علي الشعلان)، وهو ابن لشيخ وحفيد لشيوخ عموم الخزاعل، كما أنه شيخ لحمولة (آل مغامس) الفرع الأهم في الخزاعل، فمنهم الرياسة والمشيخة.

و(حسين علي الشعلان) شيخ عموم الخزاعل أي رئيسها، كان قد ورث المنصب عن أبيه علي شعلان آل ظاهر شيخ عشيرة آل مغامس،، غير أنه كان صغيراً فتولى المشيخة عمه إدريس شعلان آل ظاهر، ولم يطلب حسين المشيخة حتى توفي عمه إدريس الذي ظل شيخاً لعموم الخزاعل ما يقرب من عقدين. فكان ذلك مما يحسب له.

وفي العادة فإن الشيخ هو سيد مضيف العشيرة وهو مالكة. والمضيف (الذي يعني هنا بيت الضيافة) هو المكان الذي يجري فيه حلّ القضايا والمشاكل، وإقامة مراسيم الزواج و(الفواتح)، وباقي المناسبات الاجتماعية للعشيرة، كإقامة مراسيم عزاء الإمام الحسين في عاشوراء. ومضيف الخزاعل الجديد الآن يقع في دار الشيخ حسين علي الشعلان الواسعة، في قضاء الحمزة الشرقي التابع لمحافظة الديوانية (والذي يضم أكبر عدد من أفراد الخزاعل بعد مدينة الديوانية)، ومساحة المضيف واسعة تصل إلى ما يقرب من ١٦٨ متراً مربعاً، غير أن المضيف السابق للخزاعل الذي كان يقع في دار الشيخ إدريس شعلان آل ظاهر كان أقل حجماً.

وكان لشيوخ الخزاعل سلطات واسعة على الأفراد من عشائريهم في كثير من الشؤون، كتوزيع الأرض وحق السكن ضمن المنطقة التي يهيمنون عليها وفرض الضرائب وما يشبه ذلك. إذ كان باستطاعة الشيخ قبل قرن من الزمان، أن يأخذ الأرض من أي من أتباعه، ويعطيها لغيره (باعتباره مالكاً لأرض العشيرة)، كما كان بإمكانه أن ينفي أي واحد من أتباعه من أرض العشيرة، والذين كانوا يعصون الشيخ قد تحرق منازلهم وتنهب ماشيتهم وممتلكاتهم. فإذا كان أحد أفراد العشيرة على خلاف مع الشيخ، أو وجد أن الشيخ لا يرغب في بقاته ب(الديرة)، فلا سبيل أمامه غير هجرة الديرة مستصحباً أهله معه غالباً.

في الوقت الراهن، لم تعد سيطرة الشيوخ على أفراد عشائريهم كما كانت سابقاً، فشيخ عموم الخزاعل اليوم لا يستطيع طرد أحد من سكانه، وبخاصة في المدينة، لأنه حتى الأفراد الذين يختلفون معه يسكنون في الغالب أرضاً أو سناً يملكونه وفق أصول الملكية العقارية السارية قانوناً في الدولة العراقية. ويعود الانحسار في سلطة الشيوخ إلى ما حدث بأعقاب انقلاب عام ١٩٥٨، بنتيجة التشريعات التي هدفت لنزع ملكيتهم الواسعة عن الأرض، مما قلص من سلطاتهم الاقتصادية كثيراً.

لكن السلطة القضائية لشيوخ عشائر الخزاعل لا زالت ذات تأثير وفاعلية في أفراد العشيرة، على الرغم من أن القانون المعتمد في الدولة موحداً، فلم يعد هناك قانون أو قضاء يخص العشائر لوحدها كما ساد في العهد الملكي، فضلاً عن أن كثيراً من الأفراد الذين تصدر بحقهم الأحكام والجزاءات العشائرية، قد لا يؤمنون بعدالة هذه الأحكام والجزاءات، وقد لا ينفذونها. إذ أكد معظم أفراد العينة أنهم يلتزمون بأوامر وقرارات شيخ العشيرة في بعض الأحيان، في حين أكدت آخرون أنهم يلتزمون تماماً بأوامر شيخ العشيرة، في حين ذكرت نسبة قليلة منهم أنهم لا يلتزمون بأوامر وقرارات شيخ العشيرة مطلقاً.

فشيخ العشيرة - وفقاً لهذه النتائج - لم يعد قادراً على تجميع أكثر من بضع عشرات من أفراد عشيرته في أحسن الأحوال، إذ تبدو العشيرة عبارة عن جماعة (قشر فارغ)، وبخاصة في الديوانية ومناطق الفرات الأوسط، أكثر منها جماعة متماسكة

ومتوحدة في قراراتها ومواقفها السياسية والاجتماعية. ذلك أن التنظيمات السياسية ممثلة بالأحزاب العلمانية (الشيوعية والقومية)، كانت قد اخترقت عشائر الوسط والجنوب العراقي منذ خمسينات القرن الماضي.

ثانياً: مساعدو الشيخ وأفراد العشيرة

يمثل شيوخ عشائر الخزاعل وشيوخ الأفخاذ الكبيرة منها الفئة الثانية في العشيرة من حيث المنزلة الاجتماعية، بعد شيخ العموم، فهم شيوخ عشائرهم أو حمائهم الكبيرة، وقد نالوا تلك المشيخة بحكم كونهم أكبر الذكور سناً في عوائلهم التي تولت مشيخة العشيرة، على أن يقترن ذلك بموافقة شيخ عموم الخزاعل، الذي يعينهم بالاتفاق مع أفراد عشائرهم.

ويكون كل واحد من شيوخ العشائر مسؤولين مباشرة أمام الرئيس الأكبر أو شيخ عموم الخزاعل عن عشيرته، وذلك لأن شيخ العشيرة سيتولى مهام شيخ العموم أمام أفراد العشيرة، فهو وكيل الرئيس أو شيخ عموم الخزاعل. فشيوخ عشائر (أبو محمد) و(آل عبطان) و(آل شلال) و(أبو حمد) و(أبو صكر) و(أبو شبيب) و(أبو محيسن) و... ما إلى ذلك من عشائر الخزاعل الأربعين مسؤولين مباشرة من شيخ عموم الخزاعل. فضلاً عن أن شيخ العشيرة سيكون مسؤولاً أمام الدولة عن عشيرته في حالة عدم تواجد رئيس العشيرة أو شيخها العام قريباً من مكان العشيرة.

ويمثل المتعلمون من أبناء الخزاعل القسم الأول من الفئة الثالثة في المنزلة الاجتماعية عند الخزاعل بعد شيخ عموم الخزاعل أو رئيسها وبعد شيوخ العشائر، وتأتي مكانة هؤلاء من حاجة شيخ العموم وشيوخ العشائر لمن يكتب عنهم. فعلى الرغم من أن الشيوخ لم يعودوا أميون غالباً، فد(حسين علي الشعلان) شيخ عموم الخزاعل هو خريج كلية الإدارة والاقتصاد في ثمانينات القرن الماضي، كما أن (ثعبان سلمان شرماهي) شيخ عشيرة خزاعل (أبو محمد) هو مدير لمدرسة، وهكذا باقي شيوخ العشائر هم من المتعلمين، غير أن حاجة هؤلاء الشيوخ لمن يكتب عنهم لا زالت موجودة، فهم لا يدونون وثائقهم بأنفسهم في العادة، وذلك زيادة في الهيبة والاحترام، فالشيخ يكلف أحد الموجودين في المجلس العشائري بتدوين ما يشرع أو ما يتفق عليه^(٨).

أما القسم الثاني من الفئة الثالثة من حيث المنزلة الاجتماعية عند الخزاعل بعد شيخ عموم الخزاعل أو رئيسها وبعد شيوخ العشائر فإنها تضم (إجاويد العشيرة)، وهم رؤساء لفندهم (مفردها فندة) أو أشبايهم (مفردها شبة) أو أعضاء في أفخاذ كبيرة ومعروفون بأنهم أحياناً وذوو نخوة، ولهم معرفة بالتقاليد والقانون العشائري، ومن ذوي الآراء الصائبة في شؤون العشيرة وقضاياها. وقد يدعوهم الشيخ في مناسبات خاصة العشيرة ليتشاور معهم في شؤون العشيرة المهمة.

يبقى أخيراً عامة أفراد عشيرة الخزاعل، الذين كان معظمهم يمارس الزراعة فيما مضى، أي من الفلاحين، وبخاصة في ملكيات وأراضي الشيوخ. وقد تميزت حياتهم فيما مضى بشطف العيش والحرمان والبؤس، حيث سكنوا الأكواخ الطينية، وعانوا الأمرين من الفاقة والأمراض (إذ كانوا يقدمون أكثر من نصف محصولهم لمالك الأرض). غير أن عشائر الخزاعل بعامة بنت علاقاتها، وبخاصة بين الفلاحين من أبناء العشيرة وملاك الأرض من الشيوخ على أساس صلة الرحم والدم، وليس على أساس امتلاك الشيوخ للأرض.

لكن اليوم لم يعد كل أفراد العشيرة من الفلاحين، ولم يعد هناك شك أن التعليم والانخراط في وظائف الدولة قد غير كثيراً من البنية السياسية للعشيرة ومن المكنات الاجتماعية فيها، على الرغم من أن مكانات رئيس عموم الخزاعل وشيوخها حافظت على بعض من أحوالها، إلا أن مكانات عامة أفراد العشيرة اختلفت باختلاف مقدار تعليمهم وثروتهم.

إن الإحصاءات التي تخص التعليم بحسب أفراد (العينة) عشيرة الخزاعل، تشير إلى انتشار التعليم وتوسعه أفقياً وعمودياً بشكل كبير ليشمل جميع فئات عشائر الخزاعل ومختلف شرائحها، وذلك بفضل سياسة إلزامية التعليم التي كانت قد أتبعته في زمن النظام الدكتاتوري السابق. ويميل الباحث إلى أن مخرجات التعليم، فضلاً عن اختراق السياسة لبنية عشيرة الخزاعل قد فعلت فعلها في تغيير كثير من قناعات الأفراد بأنماط حياتهم، وغيرت نمط علاقاتهم وتراتبهم الاجتماعي بشكل واسع. فمعظم أفراد عشيرة الخزاعل اليوم يسكنون المدينة، وهم بعيدون عن الاشتغال بالأرض، وهم بالنتيجة بعيدون عن سلطة الشيخ الاقتصادية، وأغلبهم من المتعلمين، وهذا يشكل جوهر عمليات التحديث التي أسهمت فيها الدولة العراقية الحديثة.

ثالثاً: (سانية) عشيرة الخزاعل وقانونها (إيراد نص السانية)

للعشائر العراقية بعامة، ومنها الخزاعل، شرائعها التي تحكم تصرفات أفرادها وتضبط سلوكياتهم. وقد تم وضع هذه الشرائع بالاتفاق بين شيخ العموم وشيوخ العشائر ووجهائها، وهي تصدر عن رئيس الخزاعل، وتتم أحكام القضاء في العشيرة وفقاً لهذه الشرائع. وتدعى هذه الشرائع المدونة غالباً بـ(السواني)، والمفرد سانية، (السنن أو القواعد العشائرية).

والسواني بمثابة قوانين اجتماعية تخص الحياة العشائرية بالكامل، فهي تشير إلى ماهية أفراد العشيرة وهويتهم المميزة وحتى راية أو علم العشيرة وغيرها من الأحوال، غير أنها تدقق في قضايا الفصل العشائري (هو تعويض يدفع بصورة جماعية من قبل عائلة مقترف الجريمة، أو من قبل فخذ أو من قبل عشيرته^(٩)) وطريقة دفع الدية ومقدارها^(١٠)، والثأر والجلوة (الهجرة عن مكان العشيرة أو الجماعة المرتكب بحقها الجريمة) والتضامن في تجميع دية الفصل، ولذا فهي متغيرة بتغير الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكما أقرت ذلك (السانية) الأخيرة للخزاعل، والتي صدرت في ٢٠٠٨/١/١.

إذ تحوي السانية، وكما هو واضح، عقوبة لكل جريمة متوقعة أو محتملة الوقوع. أما الجرائم التي لا يوجد في السانية نص خاص على عقوباتها، فتحل بخلق قواعد من قبل مجلس عشائري خاص، تضاف أحكامه كمواد جديدة للسانية. ويهتم المتخصصون من أفراد العشائر، وخاصةً تلك المطلوب منها الفصل، بأخذ العتوة (وهي فترة الهدنة بين المشكلة وحلها) أو إعطائها. غير أن عشائر الخزاعل المشغولة بالشأن السياسي ضمنت (سانيتها) فقرة تتحدث عن علاقة الأفراد بالسياسة وما يمكن أن ينتج عن ذلك من جرائم وخروقات، وأن عشائر الخزاعل غير مسؤولة عما ينتج عن المشاركة السياسية للأفراد، بانضمامهم للأحزاب الحركات السياسية.

والسلطة القضائية لأي عشيرة من الخزاعل تكون محصورة بيد شيخ العشيرة بشكل كامل تقريباً، فيصدرون أحكامهم في القضايا البسيطة، فإن كانت القضية معقدة، أو تخص الخزاعل بالكامل فإنها تحال إلى شيخ عموم الخزاعل الذي يصدر أحكامه النافذة في القضايا الشائعة لعموم العشيرة، أما في حالات الجرائم المعقدة أو الجديدة، فإنه يجمع بعض (إجاويد العشيرة) خاصةً أولئك الذين لهم إمام بالقانون العشائري في مجلس قضائي يرأسه هو. ولهذا المجلس صفة استشارية فحسب، فالقرارات تصدر دائماً عن الشيخ نفسه. وهو الفصل في الأمور القضائية بعامة، وهو الحاكم النهائي.

غير أن فصول الجرائم الكبيرة بعامة كانت تدفع فيما مضى من أيام العشائر العراقية بشكل نساء فقط، ومن هذا أتى مصطلح (فصلية) ومعناه المرأة المقدمة كتعويض (كفصل) عن الجريمة المرتكبة^(١١). ويكره أفراد عشيرة الخزاعل إعطاء بناتهم كزوجات في الفصل لأنهم يعتقدون أن المرأة الفصلية تساء معاملتها وتظلم للغاية، وتشيع في اعتراضات النساء اللواتي تساء معاملتهن من قبل أزواجهن الإشارة إلى أنهن لسن (فصليات). وعلى الرغم من ابتعاد الخزاعل عن تقديم النساء كفصول عشائرية، غير أنهم يقبلون أن يأخذون النساء كفصول عشائرية في حالات الجرائم الكبيرة^(١٢).

المبحث الثالث

الخرزاعل... في البنية والتراتب الاقتصادي

أولاً: هل هناك اقتصاد عشائري عند الخزاعل اليوم؟

تستند العشيرة إلى هيكل اقتصادي بدائي في أبعاده، وعميق الجذور (من الملكية الجماعية واقتصاد الكفاف)، يميل بشكل ما إلى الاشتراكية الساذجة، فكان نظام المقايضة (الذي ظل سارياً حتى بدايات القرن العشرين)، بديلاً عن استعمال النقود في التبادل الاقتصادي ما دامت حاجات الإنسان الاقتصادية مكفولة وحاجاته الكمالية قليلة، والسلع المتداولة قليلة^(١٣).

وقد كان الإحساس بالانتماء العشائري أكبر من الإحساس بالانتماء إلى وطن، فضلاً عن عدم وجود هذا الوطن أصلاً، فوطن العشيرة هو أي أرض يتوافر فيها الماء والكلاء، ويمكنها السيطرة عليها وحمايتها. فالعشيرة كانت في العادة تملك رقعة واسعة من الأرض تدعى (الديرة)، وتضم أراضي مزروعة وغير مزروعة. فالديرة تابعة للعشيرة طالما تمكنت من الدفاع عنها. وإذا كانت العشيرة ضعيفة فإن حقها في الأراضي القابلة للزراعة والرعي، والتي اعتادت أن تكون لها، يبدأ بالتقلص لصالح العشائر الأكثر قوة، فملكية الأرض كانت أمراً مكتسباً بالتقادم ومعترفاً به وفق التقاليد العشائرية^(١٤).

إن هذه البنية الاقتصادية للعشيرة طوال العهد العثماني، أوجدت إحساساً قوياً بالوحدة داخل العشيرة، فالعشيرة العشائرية كانت أشد تأثراً في تلك الأيام. كما شكّل النظام العشائري، بصورته التي عرضت لها آنفاً، عائقاً واضحاً أمام نمو الوعي الوطني، ووقف حائلاً أمام تكوّن سوق عراقية موحدة.

ظلت (الديرة) تعدُّ ملكاً للعشيرة كلها وليست ملكاً فردياً للشيخ أو للعائلة التي ينتمي إليها. غير أن الشيخ كان يملك عملياً حصة من ناتج الفلاحين في الديرة تدعى (حصة المضيف) والذي كان يشكل المركز السياسي والاجتماعي للعشيرة، فالفلاح كان يدفع جزءاً من محصوله المتواضع لشيخ عشيرته. وكانت هذه الحصة تبلغ ثلثي محصوله، ثلث لحصة المضيف وثلث لمالك الأرض والدولة كضريبة، وكلا الثلثان يذهبان للشيخ، في حين يحصل هو على ثلث المحصول فحسب. ولم يكن لشيخ عموم العشائر أي علاقة مباشرة بالأرض المزروعة، ولكنه كان يتلقى حصته من ناتجها كإتاوة، أو أنه كان يقوم بوظيفة جابي الضرائب، للحكام والمماليك العثمانيين^(١٥).

وبناءً على ما سبق، يمكن التساؤل عما إذا كان القول بوجود بنية اقتصادية عشائرية مميزة لعشائر الديوانية صحيحاً، أو إن كان هناك اقتصاد عشائري مميز، فهذه الجماعات لا تعيش اقتصاد الكفاف، كما أن غالبيتها تشترك في السوق المحلية.

ثانياً: ملكية الأرض عند الخزاعل والمكانات الاجتماعية والاقتصادية

إن مشكلة الأرض الزراعية في العراق قديمة^(١٦)، غير أن شيوع الفوضى والدمار في أنحاء العراق والحروب والنزاعات المستمرة واستبداد الدولة العثمانية وضعف الحكومات المركزية وبعدها عن الأطراف سهل لبعض القبائل القوية السيطرة على الأراضي التي احتلتها وجعلتها ملكاً لها^(١٧). فقامت إمارات عشائرية فرضت سلطتها واستقلالها النسبي، ومع العلم أن حق التملك للأراضي في هذه الإمارات بقي غير مستقر تماماً^(١٨). فشهد العراق في تلك الفترة قيام إمارات عدة كـ (إمارة الخزاعل) و(إمارة ربيعة) و(إمارة بني لام) و(إمارة المنتفك) و(إمارة زبيد)، والتي كان معظمها في حروب متواصلة مع الولاة العثمانيين. وتعد محاولة الوالي العثماني (مدحت باشا)^(١٩) لتوطين العشائر هي المدخل الرئيس لهذه الفترة الحساسة في تأريخ وصيرورة المجتمع العشائري في العراق^(٢٠)، فعندما امتنع الفلاحون عن الخضوع لنظام (مدحت باشا)، سارع الشيوخ إلى حياة الأرض، وبذلك نشأت الملكيات والإقطاعيات الكبيرة في بعض مناطق (العراق). إذ انحصرت عملية التفويض هذه بعدد محدود من شيوخ القبائل، وبالأخص شيوخ المشايخ، أي زعماء القبائل الكبرى، ومنها الخزاعل^(٢١).

فالثروة التي تراكمت عند شيوخ العشائر، ومنهم شيوخ الخزاعل كانت نتيجة لثلاثة عوامل، هي ترأسهم أحلافاً عشائرية، باعتبارهم مجموعات محاربة في قرون أبكر. وقد لعب العثمانيون دوراً هاماً في تنمية سيطرة المشايخ وذلك من خلال تحويل كثير منهم إلى جباة ضرائب من فلاحي عشائريهم. فيما كان ثالث العوامل هو تحويلهم إلى ملاك أراض، وذلك بعد إدخال (الطابو) في القرن الـ(١٩)، وبعد إدخال نظام (اللزمة) في بدايات القرن الـ(٢٠)، بما فيهما من نظام للملكية الخاصة^(٢٢).

إن تسجيل الأراضي الزراعية بأسماء الشيوخ والمنتفذين في الدولة أثار نزاعات حادة، إذ أصبح عدد كبير من الفلاحين لا يملكون الأرض التي يزرعونها وتحولوا إلى مزارعين أجراء في أراضيهم التي فقدوها^(٢٣). إن هذا التغيير الهام في وظيفة الشيخ، بتحوّله من منصبه الاجتماعي أو العسكري، إلى مكانته الاقتصادية يثير سؤالاً غاية في الأهمية، وهو إذا ما كانت عصبية أبناء العشيرة قد خفت حدتها بعد هذا التحول الهام في وظيفة الشيخ الذي أصبح منذ تلك الآونة مالكا للأرض؟

هكذا أصبحت مئات الآلاف من الدونمات الزراعية ملكاً صرفاً لشيوخ الخزاعل، ولا زالت آثار هذه الإقطاعيات الكبيرة باقية فيما يملكه هؤلاء الشيوخ، (فآل شعلان) شيوخ عموم الخزاعل كانوا يملكون ما يقرب من (٥٨٠٠٠) دونم من الأرض الزراعية في مناطق مختلفة من الديوانية، وأسعها في الحمزة. فيما كان (آل باجي) شيوخ آل شبيب من الخزاعل يملكون ما يقرب من (٨١٠٠٠) دونم، أما (آل عبطان) شيوخ آل شلال من الخزاعل يملكون ما يقرب من (٤٦٠٠٠) دونم فحتى بعد أكثر من خمسين عام على قانون الإصلاح الزراعي الذي صدر بأعقاب ١٩٥٨، لا زالت ملكيات هؤلاء الشيوخ كبيرة.

أما في العهد الملكي فقد سيطر النظام الإقطاعي، حيث تحول الكثير من رؤساء عشائر الخزاعل إلى إقطاعيين مما جعل الفلاحين يانون شظف العيش. فالفلاح كان يدفع جزءاً من محصوله المتواضع لشيخ عشيرته. وكانت هذه الحصة تبلغ ثلثي

محصوله، ثلث لحصة المضيف وثلث لمالك الأرض والدولة كضريبة، وكلا الثلثان يذهبان للشيخ، في حين يحصل هو على ثلث المحصول فحسب.

غير أن الضريبة القاصمة للعلاقات الإنتاجية شبه الإقطاعية وبالتالي لوزن ودور الشيوخ الإقطاعيين جاءت بأعقاب تموز عام ١٩٥٨ وتسلم السلطة من قوى وقفت من حيث المبدأ ضد الإقطاعيين وهيمنة المشايخ على الفلاحين وصدور قانون الإصلاح الزراعي والبدء بتوزيع الأراضي على فقراء وصغار الفلاحين^(٢٤). فأصبح الفلاح منذ ذلك الحين يشتغل في أرض يملكها معظم الأحيان. فأنحسرت ملكية الأرض لدى الخزاعل لتصبح أقل بكثير مما كان لهم سابقاً، إذ تتراوح ملكية (آل شعلان) من الأرض الزراعية بما يقرب من (١٧٠٠٠) دونم، و(آل باجي) شيوخ آل شبيب في ناحية الشافعية يملكون ما يقرب من (٥٧٠٠٠) دونم، فيما يملك آل عبطان (٢٢٠٠٠) دونم على سبيل المثال لا الحصر.

كما أن الفلاحين الذين يشتغلون عند شيوخ الخزاعل وملاك الأراضي في العشيرة أصبحوا يدفعون بنصف المحصول فقط كحصة لصاحب أو مالك الأرض، وهذا النصف يتضمن أجور البذور وحرث الأرض وريها وأثمان الأسمدة وغيرها من مصاريف يقدمها المالك لرعاية الأرض، والنصف الآخر يكون حصتهم الصافية نتيجة لعملهم في فلاح الأرض.

المبحث الرابع

عشيرة الخزاعل والانتماء الديني والطائفي

أولاً: مكانة العشيرة دينياً.. الخزاعل والمؤسسة الدينية

ابتداءً يمكن الإشارة إلى أن التنظيم القبائلي الذي ميز الحياة في الصحارى العربية قديماً، لم يغير فيه الإسلام كثيراً. إذ إن الاستنتاج الذي يمكن التوصل إليه فيما يخص علاقة الإسلام بالقبيلة والعشيرة، هو إدراك الرسول الكريم محمد صعوبة التغلب على مؤسسة راسخة في ذهن العربي أين الصحراء، كمؤسسة القبيلة والعشيرة، فعمل على تكييفها مع نظام الإسلام.

أما عن العراق قبل فتح المسلمين له، فإن بعض سكانه كانوا ينتمون إلى عشائر، غير أن غالبية سكان العراق الآخرين هم أبناء حواضر العراق، فلما دخل المسلمون الفاتحون أرض العراق في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب أصبحت الوحدة التكوينية للمجتمع فيه هي القبيلة ومن ثم العشيرة، ذلك أن قادة المسلمين حينما دخلوا العراق بجنودهم، وبنوا مدنهم الأولى فيه (الكوفة والبصرة)، قاموا بتخطيط مساكنهم في أحياء (أرباع) بحسب عشائر هؤلاء الجنود^(٢٥). ومن هذه العشائر كان الخزاعل الذين أسهموا في فتح العراق أيام الفتوحات الإسلامية وسكنوا الكوفة وتمتعوا بنفوذ واسع كمشيخة مهمة وقد برز منهم الصحابي الجليل (سلمان بن سرد الخزاعي)، ثم استوطنوا الحلة ومناطق الفرات الأوسط.

ومنذ أن وطأ الاحتلال المغولي أرض العراق، شكلت العشيرة تنظيمياً سياسياً واقتصادياً مستقلاً، في فترة الظلمة التي امتدت طويلاً نسبياً (ما يقرب من ٧٠٠ عام). وكان ابن القبيلة أو العشيرة يشعر بانتماء مصيري لهذا التنظيم، الذي يحمي أفرادها. ولكنه (أي ابن القبيلة) كان بعيداً عن التدين بشكله الحضري المترمت.

غير أن البنية الداخلية للمجتمع في العراق كانت (ولا زالت) تستند على دعامة ثانية، فضلاً عن (شيوخ العشائر العربية وأفرادها)، ألا وهي سلطة ومكانة (رجال الدين). فإتحاد هاتان الدعامتان لعب دوراً بارزاً في صناعة العراق الحديث والمعاصر بمساحته المعروفة وحدوده السياسية الحالية^(٢٦). فالفرد العراقي موزع في ولائه بسبب ظلم واستبداد الحكومات، بين الولاء للقانون والولاء للمرجعية الدينية فضلاً عن ولائه للعشيرة.

ولم يحرك البريطانيون ساكناً إزاء هذه المسألة التي لمسوا أهميتها بعد دخولهم العراق أثناء الحرب العالمية الأولى، فمتلما حاربت العشائر العراقية السلطة العثمانية عملت على محاربة البريطانيين بضراوة، لاسيما عشائر جنوب العراق والفرات الأوسط بعد أن تحالفت مع المؤسسة الدينية الشيعية المتمثلة بحوزة النجف الأشرف الدينية^(٢٧). وكان الاتحاد بين العشائر ورجال الدين الشيعية بالتحديد، قد نجح في تأليب الثورة ضد الاحتلال البريطاني منذ لحظاته الأولى^(٢٨).

إن موقف العشيرة العراقية من الدين الإسلامي لا يقتصر فقط على تمسكها بعبادات وتقاليد متعارضة مع الإسلام، وإنما يمتد ليشمل أنماط (تدين) أفراد العشائر. فكثيراً مما يشيع في تقاليد وأعراف (سنن) العشائر ما يخالف الإسلام، ديناً وطوائف، لكنه

مقبول، بل هو ملزم وواجب فوقاً للتقاليد العشائرية. وبينما تفرّد التعاليم الإسلامية أحكاماً خاصة ومحددة، تعالج جرائم السرقة والزنا والقتل المتعمد والحروب، فإن للعشيرة قوانينها الخاصة، التي تعالج هذه الحالات، وهي قوانين أملتھا الأوضاع الاقتصادية والديموغرافية والبيئية والحربية للعشيرة^(٢٩). فبيئة أفراد العشائر وطبيعة عملهم لا تفسحان مجالاً للغلو والتدين المتزمت المبالغ فيه.

وخزاعل الديوانية مسلمون بعامّة، فلا يوجد فيهم من هو في ديانة أخرى غير الإسلام، وليس هنالك من أفراد أديان أخرى متواجدة في المحافظة (الصابئة والمسيحيين أو حتى اليهود) متحالّفين مع الخزاعل (متجارشين) لأغراض الحماية. فديانة الخزاعل جميعاً هي الإسلام. وهم (أي الخزاعل في الديوانية) يعتقدون التشيع مذهباً، ويعدون أنفسهم أقرب العشائر من هذا المذهب بعد السادة (المتحدرين من صلب الرسول والأنمة من أهل بيته)، بل إنهم ينفون ما ذهبت إليه الروايات عن تشيعهم في بداية القرن الـ(١٨) التي أوردها بضعة مؤرخين^(٣٠)، فيشيرون إلى أنهم ساندوا الإسلام ونبيه منذ أن قامت الدعوة الإسلامية^(٣١)، كما أنهم مع الإمام علي والمذهب الشيعي منذ أول نشأته، مستشهدين بأكثر من رواية تاريخية بهذا الشأن^(٣٢). كما أن وصفهم بـ(أحوال السادة) كما يشيع في محافظة الديوانية، بما عرف عنهم عدم تزويجهم بناتهم إلا لأفراد عشيرتهم أو لأفراد من السادة. فضلاً عن أن السادة يحظون بأهمية لدى الأفراد من عشيرة الخزاعل.

ثانياً: الطائفة والانتماء العشائري

لقد جلب الاحتلال الأمريكي للعراق، وسقوط الدكتاتورية، استقطاباً طائفيّاً (سنيّاً/شيعياً) بدأ يتشكل عبر ظواهر متناثرة، مفككاً البنية المجتمعية القلقة أصلاً، وكانت الشعارات المؤكدة على وحدة السنة والشيعية والتي ظهرت في شوارع معظم مدن العراق العربية وبخاصة بغداد، وذلك بعد أيام من الاحتلال محاولة لاحتواء الطائفية^(٣٣).

اجتماعياً، وكما يؤكد المدافعون عنها، تبدو العشائر القلعة الأخيرة لمواجهة الاستقطاب الطائفي الواسع في وسط وجنوب العراق بأعقاب الاحتلال الأمريكي، في عراق يفنّد لسلطة الدولة، ومعها يفنّد لصنع هوية وطنية واحدة يمكن أن تنتمي لها المجموعات الاجتماعية في العراق^(٣٤). وإذا ما كان الاختلاط موجوداً في بعض القبائل الكبيرة، فمعظم العشائر العربية تكاد تكون من طائفة واحدة غالباً. كما أن عمليات التهجير (الطائفي) الواسعة بين كلا الطائفتين أثبتت، بشكلٍ جلي، ما يناقض هذه الرؤية للعشيرة، بصفتها جماعةً موحدة للتنوع العراقي.

إن الخزاعل، ومثلما هو حال العشائر العراقية بعامّة، يتداخل فيها الطائفي بالديني، غير أنها أدعت تحقيق مكاسب على مستوى الاندماج الطائفي. لكن ذلك يتناقض ولا شك، مع واقع قضية (التقليد عند الشيعة)، فأنت حينما تسأل أي فرد من أفراد عشائر الخزاعل (يسكن المدينة أم الريف)، سواء كان متديناً بشدة أم غير متدين، عن مدى التزامه بفتوى المرجع الديني قياساً بأوامر الشيخ، فإن الإجابة تكون الالتزام بفتوى المرجع حتى لو خالفت أوامر الشيخ، إذ أكد معظم أفراد العينة أن الانتماء العشائري لا يتناقض مع الدين، وأن الانتماء العشائري هو أوسع من الانتماء الطائفي، غير أن ذلك كان يتناقض مع إجابة أفراد العينة عن الأوامر الأكثر تأثيراً في الأفراد أوامر العشيرة أم فتاوى المرجعية، إذ كانت إجابة الغالبية منهم أنهم يتبعون فتاوى المرجعية. فعلى الرغم مما يجمع الأقسام الشيعية والسنية للقبيلة أو العشيرة من نسب افتراضي، فإن ذلك لا يقف حائلاً دون انقسامها وبشكل واضح في قضية الطائفة.

ففي عشائر الخزاعل في محافظة الديوانية، انقسم أفضاخ كل العشيرة وأفرادها في مواقفهم الدينية/السياسية بعد أبريل ٢٠٠٣، بين مؤيدٍ للانتلاف الشيعي، وبين مؤيدٍ للوفاق الوطني، وتباينت مواقف الأفراد الآخرين من العشيرة. بل وحتى داخل مؤيدي قائمة الانتلاف كان هناك من نفس العشيرة من يؤيد المجلس الأعلى، في حين أيد آخرون تيار مقتدى (الحركة الصدرية)، كما كان هناك من يقلد السيد (السيستاني) وبين من يقلد مراجع آخرين (منهم السيد الحائري أو الصرخي أو غيرهم). وهكذا هو حال بقية عشائر الخزاعل.

يبقى أن نشير إلى أن علاقة عشائر الخزاعل بالمؤسسة الدينية الشيعية ظلت تقوم على تبادلية غير جلية، فبينما يلتزم شيوخ العشائر بمواصلة دفع (الخمس)^(٣٥) إلى مراجع التقليد، يبارك هؤلاء سلطة الشيوخ وإدارتهم لعشائريهم بالطريقة التي يرونها مناسبة. هكذا هي العلاقة منذ نهاية ثورة العشرين، التي اشترك فيها شيوخ الخزاعل وعشائريهم، وحتى وقتنا الحاضر. حادثة واحدة حصلت، قام فيها بعض شيوخ الخزاعل بزيارة مكتب السيد الصدر (والد السيد مقتدى) في النجف وأعلنوا براءتهم مما فعله (حازم الشعلان) وقد كان وزيراً للدفاع، وحصلت في وزارته معركة النجف عام ٢٠٠٤^(٣٦).

المبحث الخامس

عشيرة الخزاعل والسياسة

أولاً: عشيرة الخزاعل في العهد الملكي

عندما احتل البريطانيون العراق، حملوا معهم، قبل كل عهد، طرقاً معينة لإعادة بناء الواقع المجتمعي العراقي. فقد نظروا إلى العراق كمجتمع عشائري/قبلي. إذ مع دخول قواتهم المحتلة إلى مدينة البصرة عام ١٩١٤، اضطر مكتب المستعمرات البريطاني للتعامل مع حقيقة سيطرة العشيرة في الريف العراقي الواسع في تلك السنوات، لذا حاولت إدارة الاحتلال البريطاني السيطرة على هذه العشائر المعروفة بتمردتها على الولاة العثمانيين، ومنها الخزاعل، وذلك بإتباع سياسة خاصة في التعامل مع هذه العشائر^(٣٧)، فخلقوا إقطاعات كبيرة تعود ملكيتها إلى شيوخ العشائر في محاولة لتطبيق نظام (الإقطاع)^(٣٨).

فضلاً عن أن بعض العشائر التي كانت قد قمعت بشدة من قبل العثمانيين رحبت بالبريطانيين، باعتبار أنهم سينصفون هذه العشائر، ويقومون بتعويضها عن معاناتها ومواقفها، وهذا ما كان مع بعض عشائر الخزاعل، إذ اعترفت إدارة الاحتلال البريطاني بمشيخة (سلمان آل ظاهر) لخزاعل (آل مغماس)، وبمشيخة (سلمان آل عيطان) لخزاعل (آل شلال)، بل إنها عززت مشيخة الأول لعموم الخزاعل. ولم يكتف البريطانيون بهذا، بل قاموا بتعويضها مالياً عن أراضي وإقطاعات كانت تعود للأمير الخزاعل (مهنا الهيس)، وتم منحها إلى (آل فتله)، وعشائر (آل شبل) باعتبارهما ورثة وأحفاداً لذلك الشيخ، فتم تسليمها تعويضات مالية عن تلك الإقطاعات.

فإدارة الاحتلال البريطاني لم تهدف إلى تفكيك بنية النظام العشائري في الريف العراقي، بل ساعدت في معظم الأحوال على خلق (عشائر) بمعنى (جماعات سياسية). والحال هذه، فإن قوة شيوخ العشائر المستندة على الوجود البريطاني، والمستفيدة على الصعيد الاقتصادي من عدة امتيازات كحيازة الأراضي، والإعفاء من دفع ضريبة الأملاك، وتلقي الهدايا على خدماتهم، تعززت منذ ذلك الحين^(٣٩). فلم تكن حكومة ملكية تخلو من وجوه شيوخ العشائر، وإذا لم تتحصل العشائر على ذلك فإن مكانها في البرلمان كان مضموناً، وذلك في مجلس الأعيان.

لقد لعبت عشيرة الخزاعل دوراً سياسياً مهماً في العهد الملكي لعراق الدولة الحديثة، وخاصةً في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، سواء مع سلطة الدولة (بمشاركة شيوخ بعضها في مجلس البرلمان أو مجلس النواب)، أو في معارضتها (بعدم الاستجابة لأوامر السلطة أو بالتمرد المسلح في بعض الأحيان). فشهد البرلمان العراقي في الملكية حضور محمد آل عيطان كنائب عن الخزاعل، وتلاه شعلان بن سلمان آل ظاهر شيخ آل مغماس وعموم الخزاعل في الدورة اللاحقة، كما ترشح ابنه علي بن شعلان آل سلمان لأكثر من دورة في المجلس.

ثانياً: العشيرة في عهد الانقلابات

تمثل الإنجاز الأكبر لسلطة يوليو ١٩٥٨ على المستوى الاجتماعي لتعزيز سلطة القانون المدني، بإلغاء قانون (دعوى العشائر). كما تدخلت الدولة العراقية بشكل واسع في مجال التمدن، سواءً بتوزيع الأراضي ومواد البناء أو ببناء مدن جديدة بنفسها، هكذا شهدت المدن الثلاث الكبرى (بغداد والموصل والبصرة) تضخماً واضحاً في ستينات القرن الماضي^(٤٠).

إن الفكرة الضمنية من هذا التوسع المدني، هو أن رقابة التجمعات في المدينة، تكون أسهل من الريف. ذلك أن حالات التمرد على السلطة في بغداد منذ قيام الدولة، كانت في أكثريتها حالات تمرد ريفية على سلطة مدنية^(٤١). فضلاً عن

التشريعات التي هدفت لنزع ملكيتهم الواسعة عن الأرض، كل ذلك قلص من سلطة زعماء وشيوخ العشائر، مما قلص دور العشائر في المشاركة السياسية^(٤٢)، لم تجد في مجالس الانقلابيين منذ ١٩٦٣ من يمثلها، وبخاصة عشائر الوسط والجنوب. غير أنه ومنذ أن استولى البعثيون على السلطة في انقلاب ١٩٦٨ لم يعد شيوخ العشائر يتمتعون بنفس المستوى من السلطات التي كانت متاحة لهم فيما مضى. إذ عمل البعثيون على تكريس الولاء لنظامهم الدكتاتوري، بإضعاف التنظيمات الأخرى، وجعل الولاء لأي جهة غير النظام جريمة يحاسب عليها القانون، كما فرضوا عقوبات قاسية على المخالفين، وكنكوا معارضيتهم وطاردوهم حتى الموت، مما جعل التفكير بالولاء لشيوخ العشيرة مجرد التزام شكلي، ففي الحقيقة كان الولاء أولاً وأخيراً لشخص الدكتاتور نفسه. إذ عمل صدام ونظامه على تنشيط دور شيوخ العشائر، وذلك في تسعينات القرن الماضي، بعد أن كان قد عمل على إضعافهم في السبعينيات والثمانينيات، فعاد للاستعانة بهم عندما شعر بضعف أجهزته القمعية وعدم قدرتها في السيطرة على الأفراد. لكنه عرف مقدماً خطر تنامي سلطة شيوخ العشائر، لذا وضع حدوداً قاسية لدورهم، كما انه اصطنع كثيراً من الشيوخ الموالين له^(٤٣). فالأزمة الاقتصادية التي حدثت في عقد التسعينات من القرن الماضي، بفعل حروب النظام والحصار الاقتصادي، كشفت عن بيئة اجتماعية عشائرية قوية، مما أجبر النظام الدكتاتوري الذي كان يعيش ضعفاً واضحاً اللجوء مرةً أخرى، إلى التنظيم العشائري الواسع الامتداد في المناطق البعيدة عن العاصمة ومراكز المدن، لفرض سيطرته على المجتمع المنهك. فنمت العلاقات القرابية، وأشكال التنظيم الأهلي والعشائري.

قبل ذلك، فإن الهزيمة في حرب الخليج الثانية ١٩٩١، جلبت بأعقابها انتفاضة احتدمت في معظم المدن العراقية في مارس ١٩٩١، عدا مدن خمسة^(٤٤). وقد سيطر المنتفضون في مدينة الديوانية، والذي كان الشيخ حسين علي الشعلان أحد قادتهم، على مقاليد الإدارة في تلك المدن والمناطق، وبدأت مطاردة عناصر الحزب الحاكم والأجهزة الأمنية سيئة الصيت، وبخاصة المتورطين منهم بجرائم ضد معارضي النظام الدكتاتوري، ولن نندش إذا ما تذكرنا أن منتسبي حزب البعث (القومي العلماني) وأجهزته الأمنية، هربوا من مدنهم وتنظيماتهم الحزبية (الحزب يُعد جماعة حديثة في التنظير السوسيولوجي) إلى عشائرهم في أقاصي الريف!! إن هذه الوقائع تشكل عمق الثقافة العشائرية حتى عند أولئك الراضين لها.

لقد أصبحت التنظيمات العشائرية تشعر بقوتها من جديد، ليس بسبب ضعف الدولة فحسب، بل لأن الدولة شجعتها، أصدر صدام حسين مع بداية عام ١٩٩٦ قراراً بتنظيم وتحديد النسب العشائري لكل الأفراد من جديد، وألزم شيوخ العشائر الذين تم استدعائهم لأحد قصوره في بغداد لتبليغهم بأوامره، ألزمهم بتدوين وتوثيق أسماء أفراد عشائرهم بوثيقة تُدعى (شجرة النسب)، وتقديمها إلى لجنة شؤون العشائر في ديوان الرئاسة، مشدداً على عقوبات رادعة بحق من لا يلتزمون من شيوخ العشائر بتنفيذ هذه الأوامر. كما ردّ الملكيات التي صودرت منها مقابل المشاركة في فرض الأمن وجباية الضرائب. فالعشائر التي استمرت محاولات دثر قيمها واستبدالها بالقيم الحضرية طوال عقود عادت لتنمو من جديد في عقد التسعينات، بأعقاب استعانة النظام الدكتاتوري بسلطة رئيس العشيرة من جديد، الذي قام بملء فراغ الدولة وتقديم خدمات الأمن (الحماية الذاتية)، والقضاء القائم على الأعراف (بعد انهيار أجهزة القضاء والشرطة بفعل الفساد المرعب الذي استشرى فيها)، علاوة على التعاضد الاجتماعي (إسعاف الفقراء، الأيتام... الخ)، ويات شيخ العشيرة شخصية اجتماعية بارزة من جديد.

ثالثاً: عشائر الخزاعل وعراق ما بعد الدكتاتورية

إن استخدام العشائر في اللعبة السياسية العراقية، قديم قدم العراق ذاته، فعلى مدى تاريخ العراق منذ الفتح الإسلامي، استخدمت الأنظمة المتعاقبة على حكمه ورقة العشائر لصالحها، حتى الاحتلالات المتتالية للعراق استخدمت العشائر في معادلاتها السياسية.

غير أن الاحتلال الأمريكي للعراق، وبعد أكثر من ستة أعوام، تسبب بأزمات كبرى ليس تفكيك الدولة آخرها، ولما كان المجتمع في العراق هو مجتمع عشائري نسبياً، على الرغم من تداخل سياقات ثقافية ذات سمة تراكمية اجتماعياً، منها الدين والطائفة، مما اضطر معظم الأفراد للعودة إلى جماعاتهم المرجعية، وأهمها عشائرهم طلباً للأمن وحفاظاً على حياتهم وممتلكاتهم، وبغرض التقاضي، وأصبح رؤساء العشائر هم ذوي النفوذ والقرار...! وقد كان لجوء الفرد العراقي إلى العشيرة هو

الخيار الوحيد أمامه في أوقات الأزمات للحفاظ على حياته وممتلكاته، فالاعتماد على سلطة العشيرة يكشف يكشف عن تراجع الثقافة الحضرية لحساب الريفية.

لقد أبدت عشائر الخزاعل مواقف متفاوتة في التعامل مع الواقع الذي فرضه الاحتلال، فبينما أعلنت عشائر منهم كانت قد عانت من بطش النظام الدكتاتوري مساندتها للنظام السياسي الجديد في العراق، أعلنت العشائر التي خسرت مكائنها السياسية ومناصب نوبها عن مقاومتها للأوضاع الجديدة بحجة مقاومة الاحتلال.. فيما فضلت عشائر أخرى مراقبة الموقف.

إن ما يمكن ملاحظته في الاجتماع السياسي للعراق منذ سقوط الدكتاتورية بالاحتلال الأمريكي، هو انقسام وتجزأ كل عشيرة من عشائر الوسط والجنوب في مجموعات تتبع ولاعات مختلفة، كأن تتبع مجموعة أفراد من العشيرة الواحدة حزباً سياسياً معيناً، (أو تقلد رجل دين)، فيما تتبع مجموعة أفراد من نفس العشيرة حزباً أو تجمعاً سياسياً آخر (أو تقلد رجل دين أو مرجعاً آخر). وذلك بعد أن اخترقها الأحزاب الدينية، أو الطائفية هذه المرة.

ففي عشائر الخزاعل، ومثلما هو حال العشائر العراقية بعامه، يبدو التوجه السياسي للأفراد مرتبط بوعيهم أكثر منه بتقاليد العشيرة أو القبيلة، وهذه التوجهات عموماً تعتمد المصالح أو المكاسب أكثر منها على المبادئ والأيدولوجيا. فأفراد الخزاعل ليسوا جميعاً (قوميون) أو (بعثيون)، كما أنهم ليسوا جميعاً (ماركسيون) أو (شيوعيون) أو حتى (ليبراليون)، ولذا لا وجود للتوجهات السياسية الموحدة داخل أفراد العشيرة الواحدة (منذ خمسينات القرن الماضي)، إذ إن ذلك يعتمد على الأفراد أنفسهم. لكن الموقف العام للعشيرة يقوده في العادة شيخ العشيرة.

ويبدو اهتمام عشائر الخزاعل بالسياسة جلياً، فضمنوا (سانية) بحيث أنها ضمنت تشريعاتها العشائرية ممثلة بـ(سانية عشائر الخزاعل) فقرة تتحدث عن علاقة الأفراد بالسياسة وما يمكن أن ينتج عن ذلك من جرائم وخروقات، وأنها في حال عدم علمها بالمشاركة السياسية للأفراد بانضمامهم لحزب أو جماعة سياسية تكون غير مسؤولة عما سيحدث، وهذا يشير بشكل أو بآخر إلى أن الدعم السياسي للعشيرة غير مضمون ما لم يخرج عبر منظومة العشيرة وآلياتها ويستحصل موافقتها.

غير إن شيوخ عشائر الخزاعل لم يكتفوا بمراقبة الموقف بعد الاحتلال الأمريكي وسقوط النظام الدكتاتوري، وأخذ البعض منهم يقدم نفسه كمرشح عن المدينة، فيما تعامل البعض مع إدارة الاحتلال في المدينة، فيما ظل شيوخ آخرون وأجاويد من المدينة يراقبون الموقف. وسنحاول في هذا المحور الإشارة بإيجاز إلى الشخصيات التي تنتمي لعشائر الخزاعل والتي أسهمت بشكل فاعل في الاجتماع السياسي للعراق منذ سقوط الدكتاتورية في أبريل ٢٠٠٣.

يمكن لنا البدء من شخصية الوزير السابق (حازم كطران الشعلان)، والذي ثار حوله الكثير من الجدل، و(حازم الشعلان) كما يعرف، هو أحد أبناء عمومة الشيخ حسين علي الشعلان شيخ عموم الخزاعل، وكان قد شغل منصب مدير لأحد المصارف الحكومية في الديوانية، وقد كان عضواً في المجلس الوطني (أو البرلمان) بدورته الأولى عام ١٩٨٠ أيام نظام صدام، وذلك قبل مغادرته للعراق في أواسط الثمانينات في القرن الماضي.

ومنذ عودته بعد سقوط الدكتاتورية، قام حازم الشعلان بجهود واضحة لتبوء منصب (محافظ المدينة)، والذي ظل شاغراً لأكثر من خمسة أشهر بعد الاحتلال (حتى سبتمبر ٢٠٠٣). وعلى الرغم من أن هذه الجهود كانت مرفوضة من قبل عشائر الخزاعل باعتبار أنه لم يكن شيخها العام، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يصبح محافظاً للمدينة في سبتمبر ٢٠٠٣، بقرار من سلطات الإدارة الأمريكية في الديوانية.

وقد كثرت الاضطرابات أثناء إدارته للمدينة رغم ما أعدقه الأمريكان عليها من أموال طائلة^(٤٥). ويؤخذ على حازم أنه قرب الأفراد من عشائر الخزاعل، دون الاهتمام بكفائهم، لكن ذلك لم يحسب حساباً، فمنحه (أياد علاوي) رئيس الوزراء السابق منصب وزير الدفاع في حكومته المؤقتة في يونيو ٢٠٠٤ ولغاية أكتوبر ٢٠٠٥. وفي عام ٢٠٠٦ أصدرت محكمة عراقية أمراً بإلقاء القبض عليه بتهمة التورط في عمليات الفساد في وزارة الدفاع، بقيمة مليار دولار، أبان شغله المنصب^(٤٦).

ثاني الشخصيات التي يمكن الإشارة إليها هي الطيبية (رجاء حبيب الخزاعي) العضو في مجلس الحكم الانتقالي (٢٠٠٣-٢٠٠٤). وكانت السيدة الخزاعي قد درست الطب في بريطانيا منذ نهاية الستينات وعادت إلى العراق ١٩٧٧ لتتخصص في الطب.

وقد اختارتها سلطات الاحتلال فضلاً عن امرأتين أخرتين (عقيلة الهاشمي وصنكول جابك) كأعضاء في المجلس الحكم، وقد مثلت رجاء حصة الشيعة فيه. وبعد حل المجلس أصبحت عضواً مستقلاً في القائمة العراقية التي يتزعمها أياد علاوي لخوض انتخابات ٢٠٠٥، غير أنها لم تحصل على نسبة مؤهلة من الأصوات.

ثالث هذه الشخصيات التي لعبت دوراً مهماً في المشهد السياسي العراقي منذ أبريل ٢٠٠٣ هو الشيخ (حسين علي الشعلان). وكان الشيخ حسين الذي حصل على كلية الإدارة والاقتصاد في نهاية السبعينات من القرن الماضي، قد انتخب عضواً في المجلس الوطني (البرلمان) بدورته الثانية ١٩٨٤، غير أن تلك العلاقة بالمؤسسة السياسية في زمن النظام السابق استتهدى بالقطيعة، بعد أن شارك الشيخ حسين في انتفاضة مارس ١٩٩١، التي حدثت بأعقاب تحرير الكويت وهزيمة نظام البعث، بل كان أحد قادة تلك الانتفاضة، وظل على قائمة المطلوبين للنظام حتى سقوط هذا الأخير في أبريل ٢٠٠٣.

وظل الشيخ (حسين الشعلان) الذي أصبح رئيساً لعموم عشائر الخزاعل، يراقب الساحة السياسية قبل أن يخوض تجربة رئاسة مجلس المدينة أو المحافظة في سبتمبر من عام ٢٠٠٣، ومع اقتراب الانتخابات ائتلف (حسين الشعلان) بقائمه (الوفاء للعراق) مع القائمة الوطنية العراقية بقيادة (أياد علاوي) ليصبح عضواً في البرلمان الحالي. وقد عرف عنه النزاهة وعدم تقريبه أفراد عشيرته، وهو ما يتناقض مع منصب المشيخة التقليدي، مما جعله أكثر قبولا في مجتمع الديوانية.

خاتمة

لقد مثل تاريخ عشائر الخزاعل أنموذجاً للتمرد العشائري على الولاة العثمانيين طوال قرنين أو أكثر، غير أن عشائر الخزاعل لعبت دوراً سياسياً مهماً في العهد الملكي لعراق الدولة الحديثة، وخاصة في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، سواء مع سلطة الدولة (بمشاركة شيوخ بعضها في مجلس البرلمان أو مجلس النواب)، أو في معارضتها (بعدم الاستجابة لأوامر السلطة أو بالتمرد المسلح في بعض الأحيان). وربما خُفَّت دور هذه عشائر الخزاعل مع قيام الانقلابات العسكرية المتتالية والإطاحة بالحكم الملكي، في عراق الدولة الحديثة، وذلك بعد أن اخترقتها التنظيمات السياسية الحديثة، ممثلة بالأحزاب العلمانية (شيوعية وقومية). مما منع تبلور توجهات سياسية موحدة داخل عشائر الخزاعل جميعاً، إذ اعتمدت هذه التوجهات على مواقف الأفراد أنفسهم. غير أنه عشائر الخزاعل عادت لتمارس دوراً اجتماعياً متميزاً في محافظة الديوانية طوال تسعينات القرن الماضي، وذلك بفعل استعانة النظام الدكتاتوري بها لضبط الأفراد، بفعل ضعف الدولة وتردي سلطة القانون. لكن عشائر الخزاعل أبدت مواقف متفاوتة في التعامل مع الواقع السياسي الذي فرضه الاحتلال الأمريكي في أبريل (نيسان) ٢٠٠٣، رغم أن معظمها حاول تلمس دور له في (الديمقراطية) العراقية المستحدثة. فأثمرت هذه المحاولات عن تقديم نماذج متنوعة ساهمت في المشهد السياسي في العراق بعد سقوط الدكتاتورية.

أما على المستوى الاجتماعي، فإن (ثقافة عشائرية) تطغى في سماتها على سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم، بشكل واسع في محافظة الديوانية، وهي تنتشر بشكل أكبر في قرى محافظة الديوانية، تتبعها النواحي، ومن ثم تأتي أفضية المدينة، وهي تشيع هذه الأيام حتى في الجماعات الاجتماعية لمجتمع الديوانية (سياسية كانت أو غير ذلك). بمقابل انحسار دور (العشيرة) كتنظيم فاعل في المجتمع، وتقلص دور وسلطة شيخ العشيرة، حتى على أفراد العشيرة أنفسهم.

- (١) وداي الطيبة: تاريخ اليونانية قديماً وحديثاً، النجف، المطبعة الحيدرية، ١٩٥٤، ص ٢١
- (٢) ميتشل دينكن: معجم علم الاجتماع، ت: إحسان محمد الحسن، بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠، ص ٣٦٢
- (٣) علاء الدين جاسم البياتي: المصدر السابق، ص ٩٧
- (٤) كما هو حال قبيلة (الأكرج) و(الجبور) و(البدير) وغيرها من قبائل الديوانية.
- (٥) مثلما هي (فندة) رخص من (فخذ) بطين بن حسين (ملاحظة الباحث).
- (٦) وكما هو حال بيت (شرمهي) في هذا القسم من عشيرة الخزاعل (ملاحظة الباحث).
- (٧) محمود عبد المولى: أنظمة المجتمع والدولة في الإسلام، طرابلس، ليبيا، ١٩٨٨، ص ٣١
- (٨) وكما يصف أحد الشيوخ ذلك بأنه مشابه لموقف القاضي من تدوين القضايا في المحكمة، فالقاضي يجيد القراءة والكتابة، لكنه لا يدون أقوال الشهود والمتهمين داخل المحكمة، بل يترك ذلك لمن هم دونه، وذلك زيادة في الهيبة والمكانة.
- (٩) يمكن اعتبار الفصل مقياساً لوحدة الفخذ والعشيرة والقبيلة، لأنه في معظم الجرائم، تختلف المشاركة بدفع تعويض (فصل) الجرائم باختلاف السواني أو السنن التي تحكم العشائر، لكن بعض الجرائم تتحمل ديتهما أو فصلها الفرد المرتكب للجريمة أو عائلته وحدهم، وكما هو حال جرائم (السودة) أي الزنى، و(التهبية) أي خطف المرأة، و(الصيحة) أي محاولة إغراء المرأة. وتعد كل هذه الجرائم مخزية ومعيبة (شاعر مصطفى سليم: المصدر السابق، ص ١٤١)، تتحمل القبيلة بكافة أفرادها الفصل المقدم كتعويض، إن كانت قد اقترفت ضد فرد من قبيلة أخرى، أو تتحملها العشيرة إن كانت قد اقترفت ضد فرد من عشيرة أخرى داخل القبيلة، أو يتحملها الفخذ لوحده في حالة ارتكابها من قبل فرد منه ضد فرد من فخذ في نفس العشيرة.
- (١٠) ويختلف مقدار التعويض الواجب دفعه كثيراً بالنسبة للجريمة باختلاف العشائر وسوانياها (شاعر مصطفى سليم: المصدر السابق، ص ١٤٦)
- (١١) ويتزوج الرجل المعتدى عليه أو أقربائه بالمرأة المقدمة كتعويض له أو لأهله. ولا يتم الزواج بهائيه النساء رغبةً فيهن، ولا تطلب أيديهن من أهاليهن، بل يؤخذن كتعويض وغمرة وينتزعن من خصوم، ولذا فالاعتد على أمثال أولاء النسوة يعاملن معاملة سيئة من قبل أزواجهن وأهلهم (خبره عبود ياسين وآخرون: عادات وتقاليد سكان الأهوار ومقارنتها للسنن الرافدينية القديمة، المنارة (دورية)، بحسب الرابط، <http://www.almannarah.com/Print.aspx?NewsID=983>).
- (١٢) لكن بعض العشائر لازال يمارسها، فقد سجل الباحث حدوث حالتين على الأقل، لفصل عشائري تم فيها تقديم النساء كفضليات. كانت واحدة منها في عشيرة ألبونايل (ملاحظة الباحث).
- (١٣) كان نظام المقايضة يتم عن طريق استبدال السلع بعضها ببعض فيتنازل أحد المتبادلين للآخر عن سلعة تزيد حاجتها مقابل حصوله منه على سلعة يحتاج إليها. مثل استبدال بيض بتمر أو شعر بقمح، (علي الوردي: لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد، مطبعة الإرشاد، مج (سنة أجزاء)، ١٩٧١، ص ٢٠٦).
- (١٤) حنا بطاطو: العراق، الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، مجلد (٣ ج)، ج ١، ط ١، ١٩٩٠، ص ٩٨
- (١٥) علاء الدين جاسم البياتي: البناء الاجتماعي والتغير في المجتمع الريفي، الرائدة دراسة أنثروبولوجية إجتماعية، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٩٧٥، ص (٢٠٥-٢٠٦)
- (١٦) إذ يعود نظام ملكية الأرض في العراق إلى العهد الساساني القديم الذي دعي بنظام (اللزامة) أي إدارة الأراضي الزراعية من قبل وكلاء الملاكين الكبار للأراضي، والذين كانوا في خدمة الملك الساساني وحاشيته، وقد مثلت علاقات حيافة الأراضي وملكيتها بدايات لنظام شبه إقطاعي ساد في اغلب الأراضي الزراعية آنذاك. ولا يسعنا المجال للخوض في تاريخ تطور حق ملكيتها منذ الفتح الإسلامي للعراق، وحتى العصر الحديث، وإنما يهنا الإشارة إليه في هذا المقام هو أنه عبر العصور التاريخية المختلفة، خرجت المساحات الكبرى من الأراضي من دائرة (الأرض الملك) و(الأراضي الخراجية والأميرية) و(المشاع)، لتندخل دائرة الملكية الخاصة، من خلال آليات عدة، أهمها: (الطابو) و(اللزامة) و(الحيافة) والهبه والإقطاع واستصلاح الأرض (الموات)، ووضع اليد. (إبراهيم الحيدري: نظام الملكية في العراق وتفكك القبيلة، موقع إيلاف، الثلاثاء ٢٣/٢/٢٠٠٩، بحسب الرابط: <http://www.elaph.com/Web/ElaphWriter/2009/2/405420.htm>)
- (١٧) ولكن بعد الفتح الإسلامي للعراق اعتبرت جميع الأراضي كغنائم حرب، واعتبرت تابعة لملكية الدولة الإسلامية، وبعد سقوط العباسيين على يد التتار وانهيار الحضارة (العربية/الإسلامية)، تهدمت طرق الري وتحولت الأراضي الزراعية إلى أراضٍ جدياء، ولم يستطع العراق استعادة عافيته إلا في بداية القرن الماضي. (محمود عبد الفضيل: التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقة في الوطن العربي، دراسة تحليلية لأهم التطورات والاتجاهات خلال ١٩٤٥-١٩٨٥، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ١٩٩٧، ص ٦٩)
- (١٨) نفسه
- (١٩) كان الوالي محدث باشا (١٨٢٢-١٨٨٤) واحداً من كبار رجالات الإدارة العثمانية، تولى إدارة بغداد لمدة خمس سنوات امتدت بين الأعوام (١٨٦٨-١٨٧٣) (راجع المنجد، ص ٦٤٥).
- (٢٠) إذ اعتقد هذا الوالي أن تملك الأراضي التابعة للملكية العامة لأبناء القبائل، لقاء أقساط مالية قليلة على مدى أجال طويلة من شأنه توطئتها، وبذلك تخمد الثورات والاضطرابات، ولكنه أخفق في هذا المشروع (غالب الشاذلي: التحولات الفكرية والسياسية في العراق خلال القرنين الأخيرين، ٢٠٠٤، <http://www.bashaer.org/vb/showthread.php?t=284>)
- (٢١) غالب الشاذلي: المصدر السابق
- (٢٢) حنا بطاطو: العراق، مصدر سابق، ص ٩١
- (٢٣) إبراهيم الحيدري: نظام الملكية في العراق وتفكك القبيلة، موقع إيلاف، الثلاثاء ٢٣/٢/٢٠٠٩، بحسب الرابط: <http://www.elaph.com/Web/ElaphWriter/2009/2/405420.htm>
- (٢٤) كاظم حبيب: هل الدور الجديد الذي يرد أن تلعبه العشائر العراقية في مصلحة البلاد والمجتمع؟، موقع الحوار المتمدن، ع (٥٢٣)، ٢٠٠٣/٦/٢٤، بحسب الرابط: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=8174>
- (٢٥) مجموعة من المؤلفين: العراق في التاريخ (إشراف وتقديم: صالح أحمد العلي)، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٣، ص ٦٢٥
- (٢٦) عبد الأمير هادي العكام: الحركة الوطنية في العراق (١٩٢١-١٩٣٣)، النجف، مطبعة الآداب، ١٩٧٥، ص ٣٦
- (٢٧) عباس عبود سالم: المواطنة والسلطة في العراق، من مكونات غيبتهما الدولة إلى دولة غيبتهما المكونات، موقع كتابات، بحسب الرابط: <http://www.kitabat.com/i51160.htm>
- (٢٨) تحركت جماعات في المناطق الوسطى والجنوبية من العراق باتجاه المرجعية، وكان على رأسها آنذاك العالم (اليزدي)، مطالبين إياه بفتوى دينية للجهاد ضد الاحتلال البريطاني، لكنه رفض ذلك واستمرت الضغوط عليه ولم تتجج. نتيجة إلى ذلك اضطر رؤساء العشائر والسياسيون للذهاب إلى سامراء لمقابلة (المرزا الشيخ محمد نقي الشيرازي) حيث كان يسكن مدينة سامراء حيث تتواجد مرجعيته هناك، فطلبوا منه أولاً الانتقال إلى كربلاء لإصدار فتوى دينية ضد الاحتلال البريطاني فاستجاب سماحة الشيخ الشيرازي لطلبهم وترك سامراء وتوجه إلى كربلاء مع ولده (السيد رضا)، فالتقت القيادات السياسية والعشائرية حوله ثم قدم إليه شيوخ عشائر الوسط والجنوب ووضعوا عشائرتهم تحت قيادة المرجعية الدينية بما فيهم السياسيين في بغداد، فقام بكتابة عدة رسائل منها إلى الامم المتحدة طالب فيها التدخل لإخراج البريطانيين من العراق وكذلك كتب رسائل إلى بعض رؤساء الدول العربية بهذا الأمر. فلم تستجب بريطانيا، ولم تتحرك الامم المتحدة، لطلب خروج الانكليز من العراق بل توسع الاحتلال إلى شمال العراق. ونتيجة لوحدة السياسيين العراقيين وشيوخ عشائر الفرات الأوسط التي كانت شمال منطقة الشامية تمتد حدودها ما بين كربلاء والنجف والناصرية، وعقد اجتماع في مدينة النجف الاشراف وحضره من رجال الدين ومن السادات وشيوخ العشائر نذكر بعض منهم (الشيخ سلمان ال عيطان شيخ عشيرة الخزاعل، والشيخ مزروك آل عواد شيخ العوايد، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر شيخ ال قفلة، والسيد مهدي زويني، والسيد محسن ابو طيخ، والعلماء والاعلام وكثيرين من شيوخ الشامية) وبعد هذا الاجتماع عقد اجتماع اخر في كربلاء لشيوخ الفرات الأوسط، طالبين من الشيخ الشيرازي بأصدار فتوى للجهاد ضد الاحتلال البريطاني فأصدر فتواه الشهيرة عام ١٩٢٠ مفتياً بالجهاد ضد قوى الكفر البريطانيين وقد تجمعت أكثر رؤساء العشائر والقبائل والقادة السياسيين ومن بينهم (ابن ضاري) من ابو غريب، غرب بغداد، سندا للثورة وحصل اول اجتماع في كربلاء برئاسة الشيرازي، وتشكل من هذه القبائل وحدات عسكرية توزعت من قضاء الرميثة إلى كربلاء، وأقر الاجتماع (المؤتمر) في كربلاء بالتحرك السريع ضد القوات البريطانية لإسناد الثورة التي انطلقت من كربلاء وبتقوى من الشيرازي (حسين كاظم العرادي: ثورة العشرين في العراق.. تاريخ أمة أبت الاستكانة، موقع شبكة النبا، بحسب الرابط: <http://www.annaba.org/nbanews/2009/06/240.htm>).
- (٢٩) ومن هذه القوانين: دفع (الدية) و(الفصل)، و(أخذ الثأر)، و(النهوة) وفتح النون والهاء)، و(الزواج كصصة بكصصة)، والزواج المبكر جداً، وتعدد الزوجات بطريقة مبالغ بها، واقتناء السلاح، باعتباره (الشريعة) الوحيدة التي تسوى بها الأمور، بعيداً عن أي شرعية أخرى، دينية أو دنيوية. فمما هو شائع في القبائل والعشائر قتل المرأة المتهمة بارتكاب جريمة الزنا، حتى دون دليل أو بمجرد الشبهة والظن، في حين إن الدين الإسلامي يقرر أن جريمة الزنا لا تثبت إلا بأربعة شهود نحو ما ورد في الكتاب الكريم (سورة النور، الآية ٤). كما أن الدين الإسلامي قرر أن دية القتل (التعويض عن القتل) هو حق لورثة القتل لا يشاركهم فيها احد، في حين أن السائد كعرف عشائري استحواذ العشيرة على الأكثر من الدية، واخذ جزء كبير من التعويض، وهذا مما يخالف القانون الذي منعه الدستور بعد أن أخطره والدين الحنيف. فعلى سبيل المثال، تضع النصوص القرآنية والتعاليم الإسلامية، المسؤولية على عاتق الفرد وحده، وتحمله وحده ووزر أفعاله، فإن قانون العشيرة يضع المسؤولية على عاتق العشيرة كلها كوحدة واحدة، وبطريقة تضامنية تكافلية، فيدعو إلى أخذ الثأر من شخص، ليس له من أي جريرة تذكر غير انتماء لعشيرة القاتل.
- وفي الوقت الذي تنص فيه التعاليم الإسلامية على التساوي بين الناس في الدنيا، باعتبارهم جميعاً من نسل آدم وحواء، خلقهم الله من (نفس واحدة)، ويكرههم الله بموجب تقوى كل منهم، يصنف القانون العشائري الناس وفق مراتبية خاصة، ويضع معيار النسب أو في المقام الأول، وبطالب من الأخ أن ينصر أخاه (ظالماً ومظلوماً)، ويأخذ بثأره بغض النظر عن أي حيثيات. كما إن الكثير من القوانين العشائرية، خصوصاً ما يتعلق منها بالأحوال الشخصية (كالنهوة، مثلاً) كانت موجودة قبل ظهور الإسلام، لكنها ظلت باقية حتى يومنا هذا، رغم أن الإسلام نهى عنها. فابن العم، مثلاً، ما يزال، مثلاً الحال في الجاهلية (يقدم على غيره في زواج ابنة عمه، ولا يزال مقدماً على غيره. وما زالت البنات تجبر على الزواج به في حال عدم رغبتها من الزواج، وقد لا يتركها تتزوج من غيره إلا بإرضائه، وقد يكون هذا الإرضاء بدفع ترضية له). (طارق حرب: المصدر السابق).
- (٣٠) كما هو حال ابن سند البصري مؤرخ المماليك وغيره.

(٣١) عندما جاء الرسول محمد بالدعوة الإسلامية آمن قسم من خزاعة بالإسلام منذ أيامه الأولى، ثم التحق الآخرون بعد صلح الحديبية وخلال قيام عدد من أبناء خزاعة بأداء فريضة الحج في مكة قتل بعض منهم (٤٠٠ شخص) داخل الكعبة فقد قام الصحابي والشاعر البليغ (عبد الله بن الوراق) الذي شارك مع الرسول محمد في جميع المعارك وشهد حطين مع الإمام علي بن أبي طالب بإبلاغ الرسول بالأمر فجاهبه الرسول (ص) بقوله (لا نصرني الله إن لم أنصر خزاعة)... وبعد ذلك تحركت خزاعة مع الرسول الكريم محمد وتم فتح مكة.

(٣٢) عند مجئ الإمام علي بن أبي طالب (ع) إلى الكوفة فأصطحبه أبناء خزاعة، كما أن خزاعة تزعمت المطالبين بئثار الحسين في حركة التوابين، فكانت الحركة بزعامه (سلمان بن سرد الخزاعي) وابنه مسيب، واستمر أبناء خزاعة السكن في العراق زمن الأمويين والعباسيين، وبعد استيلاء العثمانيين على العراق واستوطنوا المنطقة الممتدة حول ضفتي نهر الفرات.

(٣٣) ياسين البكري: أمريكا واستراتيجية ما بعد الفدرالية، العشائر وتنشيط الفضاوات الطائفية، موقع الحوار المتمدن، ع (٢٠١٨)، ٢٠٠٨/٣/١٢، بحسب الرابط: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=127699>

(٣٤) فهناك مثلاً سنة وشيعة داخل عشيرة الجبور، ومثل ذلك في الجنابات والزبيدات وأل عامر والشمرين والعنزيين واغلب العشائر العراقية الأخرى (ملاحظة للباحث).

(٣٥) وهي الضريبة المستحقة على أموال المسلم الشيعة، ومن أسماها فهي تبلغ (٢٠%) من الأموال (ملاحظة للباحث).

(٣٦) قام وفد من هذه العشيرة التي تتواجد في الديوانية ومدينتي غماس وابو تبن، ومناطق جنوبية أخرى، بزيارة إلى ممثلين للتيار الصدري في النجف الأشرف والديوانية، وأعلنوا براءتهم من حازم الشعلان، وقالوا حسب مصادر مطلعة، أن حازم تخلى عن دينه وعن قيمه وصار أداة بيد المحتلين، وتعدوا بمعاقبته بما يمليه عليهم الشرع الإسلامي.

(٣٧) وتكشف رسائل (المس بيل) التي كانت تبعثها عن نشاطها في التنسيق والاتصال مع العشائر، فقابلت عدداً كبيراً من شيوخ العشائر وأفرادها، وربتت الاتفاقيات معهم فضلاً عن جمع المعلومات، فقد أعدت خريطة للعشائر العراقية، رتبته حسب الحروف الأبجدية، (المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، بيروت، دار الكتب، ١٩٧١، ص ٢٦).

(٣٨) وهو نظام كان قد عفا عليه الزمن الأوربي الغربي كما تمت الإشارة، فقد أصبح المجتمع الأوربي يعيش عصره الرأسمالي، فضلاً عن أن نظام الإقطاع يتعارض أصلاً مع مشروع الدولة الحديثة التي قام البريطانيون بإنشائها فيما بعد (ملاحظة للباحث).

(٣٩) نفسه، ص ٣١٦

(٤٠) غسان سلامة: المجتمع والدولة في المشرق العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ٢، ١٩٩٩، ص ٢١٩

(٤١) وهذا يشمل حالات تمرد قبائل وعشائر الجنوب في القرن التاسع عشر، كما في القرن العشرين (لاسيما السنوات ١٩٣٥-١٩٣٦)، ويشمل أيضاً تمرد الأكراد في جبالهم وديانهم الوعرة، ناهيك عن انتقال مجموعة منشقة من الحزب الشيوعي في ستينات القرن الماضي إلى نوع من حرب العصابات الريفية، وذلك بعد تحصنت في أحوار الجنوب، ص ٢٢٢

(٤٢) للمزيد راجع الجزء الثالث من كتاب بطاطو، وتحديداً الصفحات (٢٣٠-٢٣٥) والصفحات (٤٠٢-٤٠٥) والخاصة بالجدول التي دونت فيها المعلومات الحيانية المتعلقة بأعضاء مجلسي قيادة انقلاب ٨ فبراير (شباط) ١٩٦٣، وانقلاب يوليو (تموز) ١٩٦٨ على التوالي (ملاحظة للباحث).

(٤٣) حتى أصبح يطلق على هؤلاء (شيوخ التسعينات) من قبل غالبية الأفراد في العراق (ملاحظة للباحث).

(٤٤) هي (بغداد والأببار وديالى وتكريت والموصل)، إذ واجه النظام الدكتاتوري مظاهر عصيان وتمرد واسع النطاق من قبل الشيعة العرب في الجنوب والأكراد في الشمال.

(٤٥) يقدر الرقم ب(٥٠٠) مليون دولار أو نصف مليار أنفقت فقط في التسعة أشهر الأولى (من سبتمبر ٢٠٠٣ ولغاية مايو ٢٠٠٤).

(٤٦) حسن لطيف الزبيدي: الأحزاب والجمعيات والحركات والشخصيات السياسية والقومية والدينية في العراق، العراق-لبنان، مؤسسة العارف للطبوعات، ٢٠٠٧، ص ٤٢٥